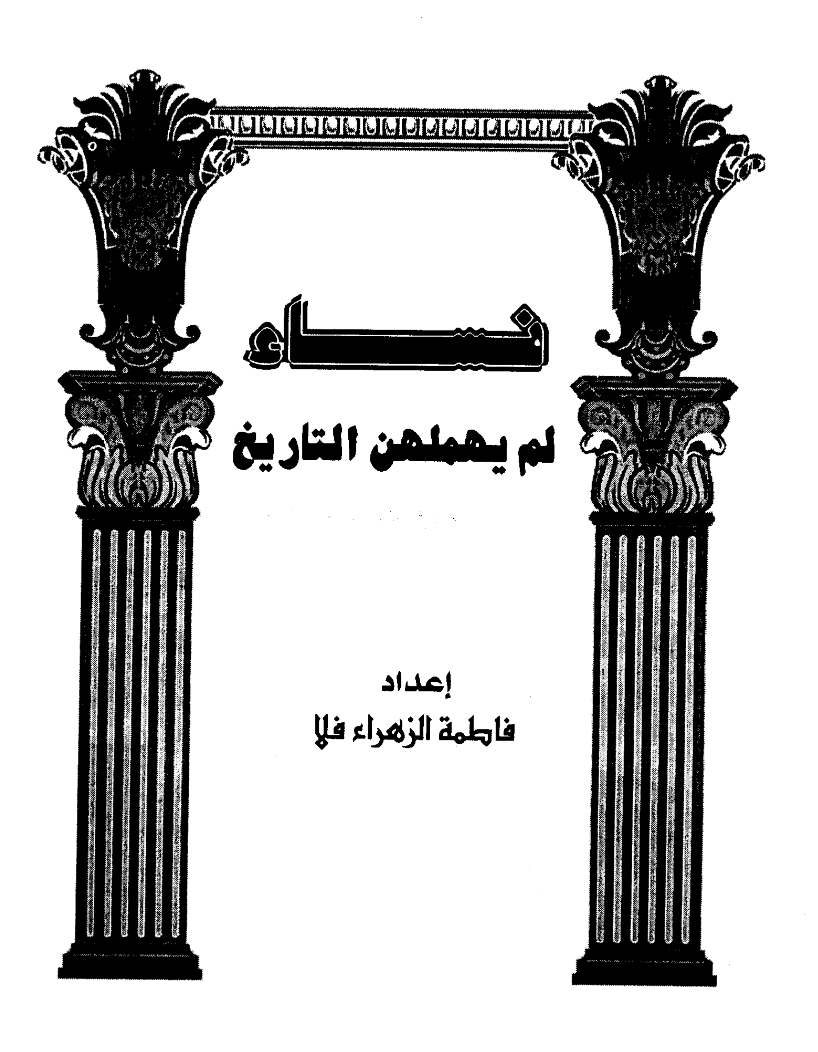


نساء
لم يهملهن التاريخ

إعداد
فاطمة الزهراء فلا

مكتبة جزيرة الورد
تقاطع ش عبد السلام عارف مع ش الهادى
ت: ٠٥٠/٢٢٥٧٨٨٢

مكتبة جزيرة الورد
تقاطع ش عبد السلام عارف مع ش الهادى
ت: ٠٥٠/٢٢٥٧٨٨٢

ماری آن انجلیدس

مصرى أحب وطنه حب المصرى الصميم الوفى لبلاده وخدمته فى ميدان الجهاد والتضحية مدفوعا بحرارة ذلك الحب الخالص المتين.

إسمه محمد كريم وهو ابن فلاح جرت فى عروقه وعروق آبائه وأجداده دماء الفلاحين الممزوجة منذ القدم برائحة التربة الخصبة وبمياه النيل العذبة المباركة.

كان محمد كريم ذكيا عالى الهمة واسع الآمال فتطلع إلى المدن دون القرى والمزارع والحقول وعزم على أن يفسح لنفسه طريقاً إلى الثروة فى معترك الحياة فى عاصمة مصر الثانية حيث يكثر اختلاط الناس بعضهم ببعض وحيث يهبط الأجانب من وقت إلى آخر فيعقدون مع أبناء البلاد صفقات تدر الربح على الفريقين.

أما محمد كريم فى الأسكندرية وكان يميل بطبيعته إلى الأخذ والعطاء والبيع والشراء فتمكن بمساعدة بعض التجار الذين كانوا يعرفون أهله ويعاملونهم من الاشتغال «قبانيا» فى الميناء يشرف على وزن البضائع الصادرة والواردة ويتولى تسلمها أو شحنها لحساب أصحابها لكنه لم يقنع بتلك الحرفة التى لا تتفق وآماله البعيدة والتى تضيق دائرة نشاطها بذكائه وفطنته فلم تمر سنوات معدودة على ذلك اليوم الذى اشتغل فيه محمد كريم قبانيا بالأسكندرية حتى كان رجلاً من رجالها الأفذاذ وزعيما من زعماء الاقتصاد والتجارة وعلما يشار إليه بالبنان أصبح محمد كريم القبانى مدير المكوس وجابى الأصول على الصادرات والواردات والرجل الوحيد الذى كان حاكم المدينة المعين من قبل المماليك يتملقه ويتودد إليه لأن كلمة محمد كريم فى كل ظرف وحال نافذة على حين أن كلمة الحاكم دائما فى حاجة إلى تأييد محمد كريم كى يحلها الناس محلها من الاعتبار.

كانت مصر فى ذلك الوقت كما كانت فى كل عهد محط أنظار الغربيين وهدفا لمطامعهم وكانت دولتان كبيرتان من دول الغرب هما انجلترا وفرنسا تتطلعان إلى الاستيلاء عليها لأن وادى النيل كان منذ قديم الزمان ولا يزال

مفتاح الشرق وكانت انجلترا وفرنسا تطمعان فى السيطرة على الأقطار الشرقية كلها فتطلعت كل منهما إلى المفتاح بغية الاستيلاء عليه.

وأوشكت انجلترا أن تسبق فرنسا فى بادىء الأمر إذ حاول أمير البحر «نلسون» أن يحتل الاسكندرية بلا قتال فرست سفنه ومراكبه تجاه المرفأ وأوفد رسله إلى المدينة فقابلوا حاكمها وأصحاب الكلمة النافذة فيها وحذروهم من الفرنسيين الذين يستعدون للشخوص إلى مصر بجيش قوى واقترحوا عليهم أن يسمحوا لأمير البحر الأنجليزى بدخول الثغر والبقاء فيه للدفاع عن الأسكندرية إذا هاجمها الفرنسيين ولكن محمد كريم حمل زملاءه ورفاقه على رفض هذا الاقتراح ورجع الرسل إلى نلسون خائبين.

وكان الفرنسيون أكثر جرأة من الأنجليز فوصلت سفنهم ومراكبهم بعد ذلك بقليل إلى الثغر المصرى تحمل جيش القائد «نابليون بونابرت» ونزلوا إلى البر فى محلة (العجمى) فى يومى ٢، ٣ من يوليه سنة ١٧٩٨ الموافقة ١٢١٢هـ حاول السكان بمعونة الحامية المصرية الضعيفة ضدهم فلم يفلحوا وهزم الفرنسيون جيش المماليك الذى اعترض سيرهم نحو القاهرة فى بلدة شبراخيت فى ١٤ من يوليه وشعر مراد بك كبير مصر وقائد المماليك فى ذلك الوقت بأن حكم البلاد يفلت من يده ففر مسرعاً إلى العاصمة للدفاع عنها وجمع تحت لوائه جيشا قويا صمد للغزاة الفاتحين فى إمبابة ولكنه منى بالهزيمة فى تلك المعركة التى دارت رحاها فى ٢١ يوليه وفى اليوم الرابع والعشرين من ذلك الشهر أى بعد ثلاثة اسابيع من يوم نزول الفرنسيين إلى البر فى الأسكندرية دخل نابليون بونابرت مدينة القاهرة ورفع على اسوارها وقلعتها أعلام الجمهورية.

لم تسد السكينة البلاد ولم يرفرف عليها السلام على أثر استيلاء الفرنسيين على القاهرة وفرار مراد بك وأعوانه وفلول المماليك إلى الصعيد فقد قامت فى مصر الثورات وتوالت الاضطرابات ولم ينعم الفرنسيون بثمرة انتصارهم إلا فى الأماكن التى وضعوا فيها حاميات قوية.

وكان محمد كريم القبانى منظم الهياج على الفرنسيين فى الأسكندرية فأدرك القوم أن المدينة لم تهدأ ولن تهدأ وتركن إلى المسالمة إلا إذا أبعد ذلك الزعيم عنها فأصدر قائدهم فيها الجنرال كليبر أمره إلى جنوده باعتقال الرجل وإرساله إلى القاهرة لكى يرى القائد العام رأيه فيه.

وفى اليوم الثانى من شهر أغسطس سنة ١٧٩٨ رست على ساحل النيل أمام بولاق سفينة شراعية تقل الأسير الذى أرسل إلى أحد السجون وكانت جميعها تغوص بالمعتقلين توطئة لمحاكمته أمام محكمة عسكرية.

حوكم كثيرون من أبناء مصر فى ذلك الوقت وحكم على بعضهم بالسجن وعلى البعض الآخر بالاعدام ونفذت تلك الأحكام وكم كانت المآسى والفواجع رهيبة وكم سجل التاريخ تلك الصفحات الرائعة التى دونت عن محاكمة «محمد كريم» القبانى الاسكندرى ولكننا نلتقى بذكر حادثة وقعت فى أثناء محاكمة ذلك الشهيد وأغفل تدوينها فى محاضر التحقيق عن عمد وبأمر من القائد العام بونابرت فقد اتهم محمد كريم بأنه تولى بعد نزول الفرنسيين إلى البر وزحفهم على القاهرة تحريض سكان الاسكندرية على حاميتها وحمل عربان مديرية البحيرة على عرقلة الزحف وارسال الخطابات إلى مراد بك لاطلاعه على ما يجرى فى الوجه البحرى وإثارة الاضطرابات والثورات فى كل مكان يمتد إليه نفوذه.

لم ينكر محمد كريم التهمة التى وجهها إليه القائد ديبوى حاكم القاهرة ورئيس المحكمة العسكرية فيها بل اعترف بكل ما حوته من تفاصيل وأضاف إليها ما غاب عن معرفة الفرنسيين وقال لرئيس المحكمة.

لقد فعلت كل ذلك مدفوعاً بحبى لأرض نبتت فيها أسرتى ودفن فيها أجدادى فافعل أنت ما يمليه عليك واجبك أما أنا فإن ضميرى مرتاح إلى ما صنعت فى سبيل الواجب وصدر الحكم باعدام المتهم رميا بالرصاص ولكن القائد بونابرت الذى كان يحاول اكتساب القلوب واستمالة الشعب أصدر قراره بعد الموافقة على الحكم بأن يسمح لمحمد كريم بافتداء نفسه إذا شاء

بمبلغ ثلاثين ألف ريال على أن يدفعها فى خلال أربع وعشرين ساعة على الأكثر.

وعندما تليت صورة الحكم على القبانى مقرونة بقرار القائد العام ضحك وقال:

إذا كنتم تعدوننى مذنبا فإن دفع ذلك المبلغ من المال لن يجعلنى بريئا فى نظركم والبراءة لا تباع ولا تشترى أما إذا كنتم لا تعدوننى مذنبا فما معنى تلك الفدية التى تطلبونها وحاول أصدقاؤه أن يحملوه على العدول عن عناده ودفع المبلغ والعودة إلى ميدان العمل ولكنه رفض بإباء وقال لمحدثيه أما البراءة بلا قيد ولا شرط وأما الاعدام بلا شفقة ولا رحمة فإذا كان مقدورا لى أن أموت فإن دفع المبلغ لن يرفع عنى الموت وإذا كان مقدرا لى أن أعيش فعلام أدفع الفدية.

وأمام ذلك العناد العجيب قرر بونابرت تنفيذ حكم الاعدام عند باب القلعة رميا بالرصاص.

حدث ذلك فى يوم ٥ سبتمبر سنة ١٧٩٨ وتحدد يوم ٦ سبتمبر موعدا لتنفيذ الحكم فى المتهم العنيد الذى رفض أن يفتدى نفسه وهو صاحب المال الوافر والأملاك الشاسعة.

وفى مساء يوم ٥ من سبتمبر دخلت على القائد ديبوى فى مقره بالقاهرة فتاة فى العقد الثالث من العمر جميلة الوجه طويلة القامة شقراء الشعر زرقاء العينين وبدون توطئة ولا مقدمة بادرته بهذه الكلمات التى تركت الرجل حيران مذهولا..

- أيها القائد أن التى تخاطبك الآن فتاة يجرى فى عروقها دم فرنسى وهى ترغب إليك فى أن تحقق أمنيتها وتجيبها إلى طلبها ولن يكلفك هذا شيئا على الاطلاق لقد حكمتم على محمد كريم القبانى بالاعدام وسمحتم له بأن يفتدى نفسه بثلاثين ألف ريال فأبى وقد جئت إليك لأقول لك إننى على

استعداد لدفع الفدية عن المحكوم عليه فابعث معى من يتسلم المبلغ كاملا دفعة واحدة ثم تصدر أمرك باطلاق سراح السجين الذى قررتم اعدامه غدا قالت الفتاة هذه الكلمات ثم ألقت على مقعد أمام القائد الفرنسى كيساً مملوءا بالفضة والذهب وأردفت قائلة:

- هذه دفعة على الحساب فالمبلغ كبير ووزنه ثقيل وهذا أما استطعت حمله معى الآن فأرجو أن تعده وترسل معى من يأتيك بالباقى أو تأتى أنت إذا شئت.

عقدت الدهشة لسان الجنرال ديبوى فى بادىء الأمر فسكت طويلا ثم قال:

- لا أسألك أيتها الآنسة عن الدافع الذى حملك على هذا العمل فقد يكون فى حياتك سر ترغبين فى كتمانه.

فقالت الفتاة:

- ليس فى حياتى سر كما تظن ولا تربطنى بهذا المصرى رابطة أثيمة كما يتبادر إلى ذهنك ولكنه رجل نبيل شريف أنقذنى من الموت فى الأسكندرية يوم نزولكم إليها وقد قتل أبى فى ذلك اليوم وبقيت مع والدتى وأخوتى الصغار ففتح لنا محمد كريم باب داره فاحتمينا فيها ونحن والحمدلله أغنياء جمعنا ثروة طائلة فى هذه البلاد وإذا دفعنا اليوم فدية السجين المصرى فإننا نسدد دينا علينا ونثبت أننا لا ننكر الجميل.

رفع ديبوى أمر الفتاة إلى القائد بونابرت فطلب القائد أن يراها فذهبت إليه وألقت بنفسها على قدميه وألحت عليه بقبول ما تعرضه إنها تريد أن تنقذ حياة الرجل الذى أنقذها وأسرتها من الموت.

سألها القائد:

- ما اسمك؟ ومن أى أسرة أنت؟

ـ اسمى «مـارى آن انجليدس» وأنا إبنة رجل يونانى وأمى فـرنسـيـة كان أبى يزاول التجارة فـى الأسكندرية ويجوب البحار وقد مـات أبى تاركا لنا ثروة كبيـرة فلن يضيرنا أن ندفع منهـا مـا تطلبونه لانقـاذ حياة الرجل الذى أحسن لنا.

فى يوم ٦ من سبـتـمبـر عـام ١٧٩٨ نفذ حكم الاعدام فـى مـحـمـد كـريم القبانى الاسكندرى رميا بالرصاص أمام مدخل القلعة المشرفة على القاهرة.

أما كيف رفض بونابرت ما عرضته عليه الفتاة؟

ولماذا رفض؟

هذا مالم يسجله تاريخ ولم تدونه مذكرات.

ولو لم يقص بونابرت نفسـه قصـة الفتـاة مارى آن انجليدس على أحد أعوانه الضبـاط فيخصهـا ذلك الضـابط ببضعة سطور فى مـذكراته لبقى هذا الحادث مجهولاً ولما علم الناس فيما بعد بما أقدمت عليه تلك الفتاة اليونانية الفرنسية النبيلة التى أرادت أن تنقذ من الموت رجلاً مصريا نبيلا.

بدر الدجى

إمـــرأة عـــاشت مـــأســـاة عـــاطفـــيـــة
فى غـمـرة الأحـداث التى أدت إلى قـيـام
الخـــلافـــة الفـــاطمـــيـــة فى مـــصـــر

توفى محمد بن طنج الملقب بالاخشيد أى ملك الملوك بلغة أهل فرغانة سنه ٣٣٥ هـ ٩٤٦ للميلاد وتولي بعده علي مصر ولداه ولكن كافورا مملوكة المعروف بالاخشيدي نسبة إلي سيده كان صاحب الأمر والنهي في المملكة إلي أن استأثر بالملك لنفسه في سنة ٣٥٦ هـ الموافق ٩٦٦ للميلاد.

كان كافور الإخشيدي من العبيد الخصيان اشتراه الاخشيد من نخاس حبشي بثمانية عشر دينارا فملك الديار المصرية والشامية وأجمع المؤرخون علي أنه كان نابغا فطنا.

وقال عنه محمد بن الملك الهمذاني

كان بمصر واعظ يقص علي الناس فقال يوما في قصصه: انظروا إلي هوان الدنيا علي الله تعالي فإنه أعطاها لمقصوصين ضعيفين: ابن بويه ببغداد وهو أشل. وكافور عندنا بمصر وهو خصي فرفعوا إلي كافور قوله وظنوا أنه يعاقبه فتقدم إليه بخلعه ومائه دينار وقال: لم يقل هذا إلا من جفائي له فكان الواعظ بعد ذلك يقول في قصصه لم يكن نجباء من ولد حام إلا ثلاثه لقمان وبلال المؤذن وكافور وقد مدحه المتنبي بأبيات كثيره منها

قواصد كافور توارك غيره

ومن قصد البحر استقل السواقيا

فجاءت بنا إنسان عين زمانه

وخلت بياضا خلفها ومآقيا

وقال فيه يهجوه

من علم الاسود المخصي مكرمة

أقومه البيض أم آباؤه السود

أم أذنه في يد النخاس دامية

وقدره وهو بالفلسين مردود

كان كافور الاخشيدي جالسا ذات يوم في قصره وحوله جماعة من رجاله وأنصاره فالتفت فجأة إلي رئيس الغلمان وقال أرسل غلمانك إلي (عقبة البخارين) وليسألوا هناك عن شيخ منجم أعور فإن كان حيا ووجدوه فليأتوني به وإن كان ميتا فليسألوا عن أولاده.

فانطلق الغلمان للبحث عن الرجل وقال كافور لجلسائه: إن لذلك المنجم الأعور في عنقي دينا لابد من وفائه لقد مررت به ذات يوم وكنت حين ذاك عبدا رقيقا في ملك ابن عباس الكاتب وكانت حالتي رثة فلما نظر إلي المنجم قال ما اسمك قلت له كافور قال أنت ترتقي إلي رجل كبر وتبلغ منه مبلغا عظيما ثم تملك هذه البلاد فيكبر اسمك بين العباد فنظرت إلي جيبي لأعطيه شيئا فما وجدت سوي درهمين فأعطيتهما الرجل ونسيته ومنذ ذلك اليوم ولكني رأيته أمس في منامي فتذكرته وأرسلت الغلمان يبحثون عنه وعن أولاده فقد ارتقيت إلي الاخشيدوبلغت منه مبلغا عظيما ثم ملكت مصر وكبر اسمي بين الناس كما تكهن لي المنجم ولذلك فإن له في عنقي دينا يجب علي وفاؤه كما قلت.

وبحث الرسل عن الرجل الأعور في عتبه النجارين وعادوا إلي سيدهم حاملين إليه الخبر اليقين لقد مات المنجم وترك ابنتين الواحدة تزوجت والثانية في انتظار الزوج.

فأرسل كافور في طلبهما واشتري لكل منهما دارا ونفحهما بمال كثير وأدخل زوج الأولي في حاشيته وأجري علي الأسرتين الأرزاق وأغدق عليهما العطايا كان يقيم في مصر في ذلك الوقت رجل افرنجي يدعي (جول بوارو) اعتنق الاسلام في بلاد المغرب وراح يضرب في طول العالم الاسلامي وعرضه ويتقرب إلي الملوك والأمراء والحكام ويجمع في جعبته مايتيسر له

من حجارة كريمة ونفائس شرقية علي أمل أن يتاجر بها بعد عودته إلي بلاده إذا عاد إليها او الاستعانه بها علي نفقات الحياة إذا سدت في وجهه أبواب الرزق في غربته.

وكان الناس يحسنون وفادة ذلك الافرنجي الغريب الذي فضل دينهم علي دينه وأوطانهم علي وطنه ففتحوا له أبواب منازلهم وأحلوه في مجالسهم محلا محترما.

وقع نظره ذات يوم علي فتاه بارعة الجمال فتبعها وتمكن من الوصول إليها وما مضت أسابيع حتي كان الشاب قد علق بحبها فجعل يرقبها في روحاتها وغدواتها ووقعت الصبية أيضا في شرك الحب وخضعت لسلطانه فعلقت بذلك الغريب الظريف الجميل وتواعدوا الاثنان علي الزواج.

كان فن الرسم في ذلك الوقت بدائيا ونقل ملامح الوجه علي لوحات من الخشب أو قطع من القماش أو الجلد عملا شاقا لايجيده غير القليلين أجادة علي كل حال نسبية وكان جول بوارو أو اسماعيل بوارو - من أولئك الفنانين القلائل. فصنع للمحبوبة رسما علي ورق أبيض حفره أيضا علي صفحة معدنية وحفر اسمها تحته (بدر الدجي)

لكن الأقدار كانت تخبئ للعاشقين مفاجاه قاسية فإن (بدر الدجي) لم تكن غير ابنة المنجم الثانية التي أبي كافور الاخشيدي أن يزوجها الشاب الافرنجي الغريب واختار لها زوجا من قواد جيشه المقربين اليه.

ولم تجرؤ الفتاة علي رفض ما أرادوه لها واضطرت مرغمة إلي الإذعان والنزول علي رغبة كافور وهي أيضا رغبة اختها فرضيت بالرجل الذي اختاروه زوجا لها لكنها بكت كثيرا وبكي معها الغريب الفنان العاشق حبه وسعادته!

ورحل بوارو إلي القيروان وبقيت بدر الدجي مع زوجها في مصر وجعل يعقوب بن كليس يوغر صدر المعز علي كافور ويحثه علي مهاجمته وانتزاع

وادي النيل الخصيب منه ونقل مركز الخلافة الفاطمية من القيروان إلي مصر ومن ثم إلي بغداد بعد طرد العباسيين منها لأن الخليفة العباسي المطيع لله بن المقتدر أضعف من أن يصد جيوش المغاربة عن الديار الاسلامية الخاضعة له وانضم الفنان الافرنجي المسلم اسماعيل بوارو إلي الطبيب اليهودي المسلم يعقوب بن كليس في سعيه لدي المعز لدين الله وجعل الشريكان يفضيان إلي الخليفة الفاطمي بمعلومات يجتهلها وتفاصيل لم يسمع بها من قبل عن امتعاض المصريين من الحكم الاخشيدي وميلهم إلي الفاطميين الذين يفاخرون بانتسابهم إلي السيدة فاطمة الزهراء بنت رسول الله وعن الكنوز الكثيرة المخبأة في بطن الأرض وتحت جدران المساجد والتي عثر علي بعضها في عهد الطولونيين وعهد الاخشيديين وكان المعز لدين الله يعلل النفس منذ اليوم الذي آلت فيه إليه الخلافة بالاغاره علي مصر وفتحها فوجدت أقوال الرجلين هوي في نفسه وعزم علي تنفيذ الخطة التي فكر في تنفيذها.

وحدث مرة أن أخرج بوارو من جعبته الرسم الذي كان لايفارقه فوضعه تحت أنظار المعز وقال ان صاحب ذلك الوجه الذي حاول أن ينقل ملامحه وتقاطيعه الساحرة علي الورق ويحفرها علي معدن صلب هي احدي النساء اللواتي يحتفظ بهن الخصي الأسود في قصره ويتقن إلي النجاه والخلاص من جحيمه وأضاف قائلا ان «بدر الدجي» حدثته عن المعز في خلوه من خلوات القصر وأنه ماصنع لها ذلك الرسم إلا نزولاً علي رغبتها وإجابة لرجائها بأن يحمله إليه في القيروان.

فضحك المعز وأجاب قائلا:

سوف نري ذلك أيها الغريب وسوف نشاهد بدر الدجي في قصرها بمصر قريب بعون الله.

فقد عزمنا علي إرسال جيشنا إلي ضفاف النيل.

مات كافور الاخشيدي قبل أن تتدفق جيوش المعز علي مصر ونزل الملك من بعده لأبي الفوارس احمد بن علي بن الاخشيد وذلك في سنة ٣٥٨ هـ الموافق ٩٨٦ للميلاد.

وكان القائد الفاطمي المنصور قد احتل الاسكندرية وجعل يدير شئونها باسم الخلفاء الفاطميين.

وفي سنة ٣٥٩ هـ الموافق ٩٦٩ للميلاد اغتنم المعز لدين الله أبو تميم معد بن المنصور العلوي الفاطمي رابع الخلفاء الفاطميين فرصة انتشار الفوضي في مصر فسير إليها مولي أيه «جوهر» في مائه ألف مقاتل لفتحها فدخلها الجيس الغازي بلا حرب ولا قتال.

وكان القائد جوهر مملوكا روميا جاء به والد المعز من بلاد الصقالية فعرف في المغرب باسم «جوهر الصقلبي» وحرف المؤرخون ذلك الاسم فيما بعد فجعلوه خطأ «الصقلي» نسبه إلي جزيرة «صقليا» أو «سيسيليا» كما يسميها الافرنج. دخل جوهر الصقلبي مصر وخطب فيها للمعز أيام الجمع وأمر المؤذنين بأن يؤذنوا «حي علي خير العمل» تنفيذاً لارادة الفاطميين فشق علي الناس ذلك لكنهم صبروا لحكم الله.

وأرسل إلي المعز يبشره بفتح الديار المصرية وبالخطابة له في الجوامع وبأنه سيبني بالقرب من مدينتي الفسطاط والقطائع مدينة جديدة تليق بالمعز لدين الله ثم يدعوه للانتقال إليها مع حاشيته ومعيته ونسائه وعلمائه ونظم ابن هانئ الأندلسي في فتح مصر قصيدة امتدح فيها القائد جوهر الصقلبي. مطلعها.

تقول بنو العباس هل فتحت مصر

فقل لبني العباس قد قضي الأمر

وفي تلك السنة شرع جوهر في بناء المدينة الجديدة جامعًا أطلق عليه اسم «الجامع الكبير أو الأزهر» وجلب إليه العلماء والفقهاء من جميع الأقطار

الاسلامية فما لبث ذلك الجامع أن أصبح معهد اسلامي في العالم واستغرق بناء القاهرة ثلاثة أعوام وعندما أصبحت لائقة بالخليفة الفاطمي أرسل

القائد جوهر يدعو مولاه إلي القدوم للإقامة في عاصمة ملكه الجديدة.

وفي سنة ٣٦٢ هجريه الموافق ٩٧٢ للميلاد قدم المعز لدين الله إلي مصر حاملاً معه من بلاد المغرب والقيروان كنوزاً لاتحصي وأطباقا من الذهب والفضة ومخطوطات نادرة وسجاجيد فارسية وجواهر ثمينة وجيء له أيضا إلي مصر بنسائه وغلمانه وجياده ورفات أجداده، بحيث لم يبق في القيروان والمغرب إثر ينم علي قيام الخلافة في تلك الديار. ووصل المعز لدين الله إلي القاهرة في شهر رمضان من تلك السنة وأقام في القصرين اللذين أعدهما له قائده جوهر الصقلبي.

وجاء إلي القاهرة مع القائد جوهر الطبيب اليهودي المسلم يعقوب ابن كليس وجاء إليها مع المعز لدين الله الافرنجي المسلم بوارو وتذكر المعز عندما حل في القاهرة مانقله إليه الفنان الغريب عن الغادة الحسناء بدر الدجي وعن نساء مصر وسحرهن فأرسل فى طلبه وجاء معه صديق الطبيب ابن كليس فقال المعز لبوارو:

- دلنى على بدر الدجى أيها الغريب فإننى لم أجد للنساء الاخشيديين أثرًا فى هذه الديار ولم أسمع منهن شيئا فماذا تعلم؟

سكت الرجل هنيهه ثم ألقى بنفسه على قدمى المعز لدين الله وقال بصوت متهدج ولهجة المذنب النادم.

- لقد خدعتك يا مولاى فبدر الدجى ليست من نساء الاخشيديين ولم تكن قط من ساكنات قصورهم بل هى فتاة أحببتها ففرقت الأقدار بينى وبينها وتزوجها رجل من رجال كافور الاخشيدى وقد بحثت عنها فى هذه البلاد بعد عودتى فعلمت أن زوجها فر مع الفارين ثم قتل فى عراك نشب

بينه وبين بعض جنودك فبدر الدجى تقيم الآن وحيدة منعزلة فى الدار التى أهداها إليها كافور.

وبعد فترة سكوت قال بوارو:

ـ والآن الأمر أمرك يا مولاى والإرادة إرادتك فماذا يجب أن أصنع.

فضحك المعز وقال للطبيب ابن كليس.

ـ مر لصديقك يا يعقوب بما يحتاج إليه من مال فإننا نجرى عليه الأرزاق ونعطيه فى القاهرة المعزية قصر فاخرا أما المرأة فإننا نتركها له فلتكن له زوجة وليعد إلى أحاديثه الغرامية معها وأما نحن فإننا لم نفتح الديار المصرية من أجل نسائها بل من أجل إقامة الخلافة الفاطمية فيها وجمع كلمة المسلمين حول هذه الخلافة فى القاهرة المعزية تزوج جول بوارو أو إسماعيل بوارو بدر الدجى وقد جمعت الأقدار بينه وبينها بعد طول الفراق وعاش الأثنان سعيدين فى ظل المعز لدين الله.

وعين الطبيب يعقوب بن كليس وزيراً للمعز فكان ساعده الأيمن فى إصلاح شئون الديار المصرية. وكان عهد المعز من أزهى عهود مصر.

وجمع الخليفة الفاطمى إلى سعة الاطلاع والعلم تسامحًا فى الشئون الدينية ومهارة فى الحكم والإدارة.

ولم يقم المعز لدين الله فى مصر أكثر من ثلاث سنوات فقد مات فى سنة ٣٦٥ هجرية الموافقة سنة ٩٧٥ للميلاد.

زينب

ثأر لها أخوها من الرجل الذى اعتدى
عليها ولكنه أعدم فآثرت اللحاق به

ابتعدت السفينة خلسة عن الشواطىء المصرية يسترها الظلام الحالك ومخرت المياه متجهة إلى عرض البحر حاملة القائد نابليون بونابرت وآماله وأمانيه نادى القائد ربان السفينة وقال له:

- لقد وضعت حياتى ومستقبل فرنسا بين يديك فأما أن تنسل بسفينتك بين مراكب الأنجليز التى تجوب البحار فى طلبنا لكى تقطع علينا خط الرجعة إلى بلادنا فتقدم لبلادك خدمة يسجلها لك التاريخ على صفحاته وأما أن تقع بين أيديهم فتقضى علينا وعلى الوطن معًا.

فبسط الربان ذراعه مقسمًا وقال:

- سأفلت منهم يا جنرال أقسم لك بشرفى وأولادى.

- شكراً لك..

وصافحه بونابرت ثم اتكأ على حاجز السفينة وشخص ببصره إلى النجم الساطع فى الفضاء اللانهائى ذلك النجم الذى كان الفاتح يسميه نجمه والذى اتخذه رمزاً لأمانيه ومطامعه.

مرت ثلاثة أيام والسفينة تفلت كل يوم بأعجوبة من المراكب الأنجليزية فنادى القائد ربان السفينة ثانية فى صباح اليوم الرابع وهنأه على براعته ومهارته وأكد له من جديد أنه يثق به ويضع حياته بين يديه.

وبينما بونابرت يخاطب الربان إذا بضجة تتصاعد من جوف السفينة فانتفض القائد وسأل ما الخبر؟ وأسرع الربان إلى مصدر الجلبة ثم عاد يحيط به بحارة السفينة ومعهم شاب غريب أوثقت يداه وراء ظهره والدم يسيل بغزارة من جرح فى خده الأيمن.

وخاطب الربان القائد قائلاً:

- سيدى الجنرال. قبض البحارة على هذا الرجل متلبسا بجريمة شنعاء فقد وثب على الجندى «فورتين» من الحرس وطعنه بخنجره أربع طعنات فى

صدره وكتفه فسقط المسكين صريعا وأسرع البحارة إلى الاحاطة بالقاتل الذى حاول أن يقاوم مهدداً بالقتل كل من يقترب منه لكنهم تمكنوا من انتزاع الخنجر من يده، فأصيب بجرح فى خده فى أثناء العراك وأظنه لا يفهم لغتنا ويتكلم العربية فقط اقترب القائد من الشاب الذى كان هادئا ساكنا كمن يشعر بارتياح وطمأنينة بعد القيام بعمل يعده واجبا عليه وخاطبه بالفرنسية فلم يجب فأمر بونابرت بإحضار مترجم من رجال الحاشية ليعلم حقيقة الأمر وليكشف الستار عن سر ذلك القاتل الغريب.

جاء المترجم وألقى اسئلتهعلى الرجل فلم يمانع فى الاجابة.

- ما اسمك؟

- عبد الملك شهيب

- من أى بلاد أنت؟

- من مدينة غزة لكننى استوطنت القاهرة منذ أربع سنوات.

- وما جاء بك إلى هنا؟

- الأخذ بالثأر.

- ممن؟

- من النذل الذى قتلته!

- وهل أساء إليك هذا الرجل؟

- لو لم يسىء إلى لما تعقبته حتى قتلته!

- وماذا افتعل؟

فسكت الرجل واعترته رعشة شديدة ثم نظر إلى الأرض واغرورقت عيناه بالدموع لكن بونابرت أشار إلى المترجم بالاستمرار فى السؤال:

- قل لنا ماذا فعل ذلك الجندى حتى استبحت لنفسك حق الاقتصاص

منه؟

فرفع الرجل رأسه ونظر إلى من كانوا يحيطون به من قواد وجنود فقرأ على وجوههم ما تضمره له قلوبهم من شر وبغض وكره ثم ارتسمت على شفتيه ابتسامة مرة وقال:

ـ لو ارتكب رجل منا نحو أحدكم جريمة كالتى ارتكبها ذلك اللعين نحوى لانتقمتم لابن وطنكم من البلاد كلها ولأمطرتم علينا وابل رصاصكم وقنابلكم أو أعملتم فينا السيوف والرماح واستبحتم لأنفسكم انتقاما أروع من الانتقام الذى نفذته فى غريمى إنى عالم بمصيرى الذى ينتظرنى ولكن لابد لى قبل أن أموت من أن أصب لعناتى على الأقوام الظالمين.

فقاطعه المترجم ساخطا

ـ لا تسترسل فى غضبك يا رجل واكتف بذكر الدواعى التى دفعتك إلى القتل.

ـ حسنا كنت أسكن منزلاً صغيرا على مقربة من تل العقارب فى مصر مع أختى وهى أصغر منى سنا وكنت أتغيب فى النهار وأعود إلى البيت بعد صلاة الغروب ففى ذات ليلة عدت إلى منزلى فوجدت فيه الجندى الذى قتلته ولا تسل عن الجرم الذى اقترفته فإنه فى نظر أبناء قومى أفظع جرم يرتكبه الإنسان.. ياليته ترك أختى جثة هامدة لكنت إذن طرحتها على قمة التل طعمة للجوارح بدلاً من الاحتفاظ بها ملطخة بالعار بملامسة ذلك الحيوان النجس نعم حاولت أن أقبض على عنقه واقتص منه فى ذلك المساء المشئوم لكن الجبان فر هارباً وأفلت من يدى.

ـ وكيف علمت بمقره بعد ذلك؟

ـ تركت أعمالى ووقفت نفسى منذ ذلك اليوم مراقبا للجنود فى روحاتهم وغدواتهم وأقسمت أمام الله وأمام أختى أن أنتقم من الفاسق الأثيم ولو بذلت حياتى فى سبيل ذلك الانتقام أما طريق الوصول إليه وصعودى

خفية إلى هذه السفينة فهذا ما لا شأن لكم به لقد تم لى ما أردت فأخذت بثأرى وغسلت بدم المجرم العار الذى ألحقنى وبأسرتى والآن ليفعل بى قائدكم ما يريد فلا يهمنى شىء ولا أطلب منكم رحمة ولا شفقة القاتل يقتل لا أجهل ذلك وحياتى بين أيديكم فهى لكم خذوها إذا ما شئتم.

فى صباح يوم الأربعاء ١٨ من يونيو ١٨٠٠ أى فى التاسع والعشرين من شهر بريريال سنة ٨ للجمهورية الفرنسية ـ الموافق للسادس والعشرين من شهر محرم ١٢١٥ هجرية أعدم عبد الملك شهيب رميا بالرصاص فى ثغر طولون الفرنسى بتهمة القتل بتعمد.

وفى ذلك اليوم نفسه نفذ حكم الأعدام فى كل من سليمان الحلبى قاتل الجنرال كليبر قائد القوات الفرنسية فى مصر وشركائه للتآمر على اغتيال ذلك القائد وهم عبد القادر الغزى ومحمد الغزى وعبد الله الغزى والسيد الولى. ولم يكن المتهم الأخير السيد أحمد الولى إلا ابن خال الشاب عبد الملك شهيب فكأن الأقدار شاءت أن يعدم الاثنان فى يوم واحد. وأن تكون التهمة الموجهة إليهما واحدة وأن ينفذ الحكم فى السيد أحمد الولى فى تل العقارب.

فهناك فوق ذلك التل المشرف على منزل عبد الملك وأخته المسكينة سقط رأس أحمد الوالى تحت سيف الجلاد وهناك أحرقت جثته بينما كان ابن عمته عبد الملك يعدم رميا بالرصاص فى مدينة طولون.

وظلت زينب أخت عبد الملك وفريسة الجندى فورتين مقيمة فى ذلك المنزل الملعون تندب حظها وتذرف الدم الدموع السخينة على مقتل ابن خالها وتعلل النفس بلقاء أخيها عائداً من رحلته حاملا إليها خبر انتقامه من مغتصب عفافها وسالب شرفها.

انتظرت طويلا ولم يعد ذلك الأخ المحبوب فتسرب القنوط إلى نفسها وفكرت فى الانتحار تخلصا من حياتها التعسة.

وبينما هى على هذه الحالة تتقاذفها الهواجس والشجون ينعشها الأمل ويستولى اليأس عليها طوراً إذا بجندى فرنسى يقترب من المنزل وبصحبته ثلاثة رجال عرفت بينهم زينب الشيخ سليمان الفيومى صديق أخيها عبد الملك.

ـ عمن تبحثون؟

ـ عنك يا زينب

ـ ما وراءكم؟

ـ إن هذا الجندى مكلف بإبلاغك خبرا مؤلما إن أخاك..

ـ عبد الملك..؟

ـ عبد الملك.. أعدم فى فرنسا.

فصرخت الفتاة صرخة مفجعة وسقطت على الأرض مغشيا عليها.

وبعد يومين عثروا فى تل العقارب وفى المكان الذى أحرق فيه أحمد الوالى على جثة فتاة ملقاة فى بقعة من الدم المتجمد وتبين من التحقيق أنها قطعت عرقا فى مقدمة ذراعها فسالت دماؤها وفاضت روحها.

ودفنت زينب فى ذلك المنزل الذى شهد عارها ورددت جدرانه صدى زفراتها وضمت أرضه رفاتها.

فاطمة الفيومية

أرادت أن تقــتل أو تنتــحـر تجنبـا للعــار
فأنقذها حبيبها بدون أن تخضب يدها بالدم



فى ١٨ أغسطس سنة ١٧٩٨ جرى الاحتفال بعيد وفاء النيل وفتح الخليج بالقاهرة وترأس المهرجان نابليون بونابرت قائد الحملة الفرنسية التى كانت قد نزلت فى الأسكندرية وتابعت زحفها إلى عاصمة مصر ودخلتها فى الشهر السابق.

أراد القائد الفرنسى أن يثبت لأهل البلاد أنه عازم على احترام عاداتهم وتقاليهم فبدأ يتودد إليهم منذ اليوم الذى حالفه فيه النصر ويردد على مسامعهم أنه ما جاء إلى مصر ليحارب المصريين بل لينقذهم من حكم المماليك ويقضى على الظلم والفوضى!

حل عيد وفاء النيل بعد دخول الفرنسيين القاهرة بشهر واحد فكانت فرصة سانحة حرص القائد الشاب المحظوظ على اغتنامها لكى يباشر تطبيق خطة مرسومة فى التودد إلى سكان البلاد التى فتحها واقناعهم بأن أعداءه هم فى آن واحد أعداؤهم ويعنى بالأعداء الأنجليز والترك وحكام مصر المماليك.

وخدع فريق من المصريين فى بادىء الأمر بهذه السياسة التى طبقت بمهارة فائقة ولكن الوعى القومى تغلب بسرعة على كل ما عداه من الاعتبارات وراح الزعماء الشعبيون ينظمون حركة المقاومة السرية التى تحولت إلى فوران وثورات علنية قبل أن يثبت الغزاة أقدامهم فى البلاد.

ولنعد إلى الاحتفال الأول بوفاء النيل فى عهد تلك الحملة التى انتهت فى النهاية بالفشل والانسحاب.

ففى ١٨ من أغسطس سنة ١٧٩٨ هرع الشعب القاهرة بكثرة إلى مكان الاحتفال حيث كان العلماء والأعيان قد تجمعوا وكان حب الاستطلاع أقوى دافع لأبناء الشعب فى تدفقهم فى ذلك المكان أرادو أن يتفرجوا على ذلك القائد الفتى الذى هزم المماليك والذى يحيط به ضباط بأزياء زاهية وقبعات يعلوها الريش وسيوف تلامس الأرض وهم يسيرون عليها ويضربون أديمها

بأكعاب أحذيتهم الغليظة.

وكان بونابرت قد أصدر أوامره إلى ضباط الجيش وجنوده بأن يشاركوا الشعب فى أفراحه ويتظاهروا بأنهم لا يضمرون لأحد شرا وبأن وفاء النيل عزيز عليهم بقدر ما هو عزيز على المصريين أبناء البلاد.

وانقضى اليوم على أحسن حال وبعد انتهاء المهرجان تفرقت الجموع وعاد الناس إلى بيوتهم وهم يتبادلون الأحاديث ويروون النوادر ويتكهنون بما يخبئه الغد فى طياته.

وعادت «فاطمة الفيومية» إلى منزل خالتها فى بلدة امبابة مع العائدين من أبناء الناحية التى دارت حولها رحى المعركة الكبرى التى عرفت بمعركة «الأهرام» وكانت حاسمة فاصلة ففتحت للغزاة طريق القاهرة فى شهر يوليو من تلك السنة.

وسألت الخالة بنت أختها:

- ألم يحدث اليوم ما يكدرك يا ابنتى؟

فأجابت الفتاة بصوتٍ هادىء ناعم

- كلا.. ولكننى أحسب هذا اليوم فى عداد الأيام المألوفة لو لم يعترضنى فى أثناء عودتى ذلك الشاب الذى نصحتنى بأن أخذ حذرى منه وقد تجنبته..

- حسن محجوب؟

- نعم تخلصت منه هذه المرة كما تخلصت منه من قبل ولم يجرؤ على اللحاق بى لأننى كنت مع جماعة من أبناء الحى..

- أعود فأحذرك يا ابنتى من الوقوع فى شرك هذا اللعين.. فإن له يدا فى موت أبيك يوم دخل الأفرنج هذه البلاد فهو من صنائعهم وكان بينه وبين أبيك عداء قديم ولا بد أن يكون قد اغتنم الفرصة وأوقع به وحرض أولئك

الجنود الذين قتلوه على الفتك به والتمثيل بجثته كما تعلمين.

ـ سأكون على حذر يا خالتى.

ـ نعم وإذا ما أحدق بك الخطر يوما من الأيام فعليك بالالتجاء إلى الشيخ سليمان الفيومى الذى كان ولايزال يعطف علينا..

ـ وإلى مروان أيضا.

ـ نعم وإلى مروان.. إذا عاد إلينا.

مرت الأيام والأسابيع والشهور..

قامت فى مصر ثورات قابلها الفرنسيون بالحديد والنار وتحرجت الحالة فى فرنسا نفسها فقرر بونابرت، قائد الحملة على مصر أن يعود إلى بلاده.. فعاد وألقى بمقاليد الأمور إلى الجنرال كليبر فعينه خلفا له وحاكما على مصر وقائد للجيش الفرنسى فيها.

وسار الخلف على منهج السلف فى معظم الشئون وكان مثله فى حياته الخاصة وسلوكه مع النساء.

وقد حاول كليبر اغراء فتاة مصرية وايقاعها فى حبائله تلك الفتاة هى «فاطمة الفيومية» التى قاومت الاغراء وأفلتت من الشرك الذى نصب لها.

دخل حسن محجوب ذات يوم على القائد الفرنسى وقال:

ـ إنى أحمل إليك يا سيدى القائد يسرك على الفتاة التى نالت حظوة فى عينيك!

كان حسن محجوب من أولئك الخونة المارقين الذين يظهرون على مسرح الحوادث فى أيام المحن والحروب فيساعدون العدو على أبناء وطنهم ويتآمرون مع الغريب على القريب ويسعون إلى رزق ملطخ بالعار وأحيانا مخضب بالدم.

عرف حسن محجوب الفتاة فاطمة الفيومية وأحبها فأعرضت عنه

وحذرتها خالتها من ذلك الشاب الضال فدفعه غيظه إلى أن يضمر للفتاة شرا ويعتزم الانتقام منها بإلقائها بين أحضان القائد الفرنسى الشرس.. بدا السرور على وجه الجنرال كليبر لما قال له الجاسوس أنه يحمل إليه خبرا ساراً عن الفتاة التى نالت إعجابه فابتسم وقال:

- هات ما عندك يا حسن فإن كان خبرك مما يثلج الصدر نفحناك بعطاء حسن.

- إن فاطمة الفيومية يا مولاى فى أيدينا لقد قلت لها إنها إبنة فلاح كان خادماً عند الشيخ سليمان الفيومى وقد قتل أبوها فى الاضطرابات التى وقعت فى القاهرة على أثر دخولكم إليها وسليمان الفيومى هو كما تعلم. الذى أجار نساء المماليك بعد فرارهم ولا يغرنك ما يظهره لك الآن من خضوع واستسلام فإنه يضمر لك ولقومك الشر كله.

- دعنا من الشيخ سليمان الفيومى وحدثنى عن الفتاة.

- لقد أعدوا لها زوجا وبعد عشرة أيام سيعقد لها على مروان السكندرى أحد جنود مراد بك الهاربين وقد عاد متخفيا إلى القاهرة.

- وأين تقيم الحسناء؟

- عند خالتها فى بلدة امبابة..

- وما رأيك؟

- ضع تحت تصرفى عشرة من جنودك وسيكون لك ما تريد.

- حسنا!

قصد الخائن فى اليوم التالى إلى امبابة مع رجاله وأقاموا كمينا على البيت من جميع جهاته واختطفوا الفتاة وهى خارجة إلى الحقل وأتوا بها إلى القائد الفرنسى.

دخل حسن على كليبر دافعا أمامه تلك الغادة الهيفاء موجها إليها ما

أوصت به إليه نفسه الشريرة من بذيئ الكلام فأشار القائد إلى جاسوسه قائلا:

- دعها يا حسن ولا تزجرها يجب على الصياد ألا يروع ظبية نافرة كهذه.

ثم التفت إلى الفتاة وقال:

- لماذا يكتئب قلبك وتختلج شفتاك؟ هدئى روعك لقد أعددنا لك فى القصر حجرة فاخرة فاذهبى إليها ونامى على فراشك الوثير إلى الصباح وغدا..

فى اليوم التالى نهضت المسكينة من نومها المضطرب قبل بزوغ الفجر وجعلت تفكر باحثة عن سبيل للخلاص أو عن حيلة تدفع بها العار عن نفسها.

رفعت طرفها فأبصرت الجدران مزدانة بمختلف الأسلحة فانتفضت فى مكانها ثم أسرعت فتناولت خنجرا عربيا مرصعًا بالجواهر.

جردته من غمده وتفرست مليا فى نصله الذى طالما لجأ إليه اليائسون من الحياة ملتمسين منه الراحة والنجاة من العذاب.

لكنها بددت فكرة الانتحار وأعادت النصل إلى غمده وأخفته فى طيات ثوبها وجلست رابطة الجأش ثابتة العزيمة تنتظر ما خبأته لها الأيام طلع النهار فجاءها الجاسوس الخائن وطلب إليها أن تتبعه إلى حجرة القائد فمشت وراءه بلا تردد كان كليبر فى انتظارها وقد ارتسمت على شفتيه الغليظتين ابتسامته المعهوده فأسرع إلى لقائها وأجلسها بجانبه وقال:

- فى لغتنا، أيتها الحسناء مثل يقول «إن الليالى توحى بالنصائح فأية نصيحة أوحت بها إليك الليلة التى قضيتها وحيدة فى الحجرة التى هيأناها لك؟

فأجابت فاطمة بلهجة لا أثر للاضطراب فيها.

- سوف ترى!

وأراد القائد أن يداعبها فاستطرد قائلاً:

- إن الغضب يزيدك جمالاً.

وتابعت الفتاة قولها كأنها لم تفطن إليه وهو يقاطعها

- إذا أراد أحد بى سوءا.. هنا فإننى سأدافع عن نفسى وإذا نزل بى سوء فإن فى بلدى رجالاً أعزة النفوس سوف ينتقمون لى.

وضحك كليبر وصاح قائلاً:

- لقد عرفت أولئك الرجال فى ثورة القاهرة كانوا شجعانا حقا.. ولكن هذا السيف قد أعاد الأمور إلى نصابها..

قال هذا وأشار إلى سيفه الملقى على فراشه ومد يده ليداعب غدائر فاطمة لكن فاطمة نفرت منه وابتعدت قليلا ثم قالت بصوت صادر من أعماق صدرها.

- لن تروى هذا السيف من دمائنا بعد الآن.

وبسرعة خاطفة تناولت خنجرها المخبؤ فى طيات ثوبها وبادرت القائد الفرنسى بضربة ظنتها صائبة ولكن كليبر تلقاها بذراعه فسالت نقط من دمه على ثوبه الأزرق ولواها بقسوة فسقط الخنجر على الأرض ونادى القائد جاسوسه فأسرع حسن محجوب وشد وثاق الفتاة ووقف ينتظر أوامر سيده فقال كليبر..

- احبسها فى حجرتها وليبق ما جرى الآن سراً مكتوماً بيننا.

فالفتت إليه الفيومية الحسناء وقالت:

- لن تنجو من أيدى الرجال إن أخطأتك أيدى النساء.

رأى الفتاة رجل مصرى من خدم القصر فعرفها ونقل خبرها إلى خالتها وإلى مروان السكندرى وكان العاشق الولهان يبحث عنها فى كل ناحية ومكان.

وبواسطة ذلك الخادم تمكنت الفتاة من مخاطبة حبيبها ورسم الثلاثة معًا خطة لانقاذها من محنتها.

وساعدتهم الأقدار!

ففى اليوم الرابع عشر من شهر يونيو ١٨٠٠ للميلاد الموافقة لسنة ١٢١٤ للهجرة أى بعد عشرة أيام أو أقل من اليوم الذى حبست فيه فاطمة الفيومية فى قصر القائد الفرنسى سقط الجنرال كليبر قتيلا بيد الفدائى السورى سليمان الحلبى.

وعمت الفوضى قصر الحاكم فاغتنم مروان الفرصة السانحة وجاء بفرسه إلى جوار القصر حيث لاقته حبيبته بعد أن خرجت من سجنها بمعونة الخادم الصديق.

لكن حسن محجوب فطن إلى فرارها فلحق بها واعترض العاشقين قبل رحيلهما فصاحت فاطمة الفيومية بمنقذها:

- هذا هو أصل البلية هذا هو الخائن وقد جاء من تلقاء نفسه يطلب العقاب على ما جنت يداه.

فوثب مروان وقبض على عنقه وظل يضغط عليه حتى تركه جثة هامدة.

ثم اعتلى السرج وراءه فاطمة وأرخى لفرسه العنان فانطلقت كالشهاب المارق حيث السعادة والهناء والراحة ولسان حال العاشقين يقول:

أطيب الطيبات قتل الأعادى

واختيال على متون الجياد

ورسول يأتى بموعد حبيب

وحبيب يأتى بلا ميعاد

هـــدى شـــعراوى

عاشت عمرها كله شبابها وكهولتها
تعـمل من أجل نهـضـة نسـائيـة

لعبت المرأة دورا بارزا فى تاريخ نضال الأمة المصرية وقد حملت السيدة هدى شعراوى أمانة رسالة عظيمة إذ عاشت عمرها كله.. شبابها وكهولتها تعمل من أجل نهضة نسائية تربط عن وعى عميق بين حرية المرأة وحرية الوطن مما جعلها تستحق بجدارة لقب رائدة النهضة النسائية فى مصر والعالم العربى.

لقد أدركت هدى شعراوى أن قضية الحرية السياسية والاجتماعية قضية واحدة لا تنفصل وقد أكد هذا المفهوم أن هذه الحركة قامت فى أحضان الانتفاضة السياسية الكبرى التى عاشتها مصر فى العشرينات من هذا القرن ومطلع الثلاثينات، ولدت هدى شعراوى عام ١٨٨٢ فى المنيا وتزوجت فى الثالثة عشرة من عمرها من على شعراوى الذى كان أحد ثلاثة توجهوا إلى مقر المندوب السامى البريطانى مطالبين برفع الحماية عن مصر وكان ذلك عام ١٩١٧ والثلاثة هم سعد زغلول وعبد العزيز فهمى وعلى شعراوى والمعروف أن الأنجليز رفضوا ما طلبه الزعماء الثلاثة وقبضوا على سعد زغلول ونفوه إلى مالطة وفى ١٦ مارس عام ١٩١٩ بدأ كفاح هدى شعراوى السياسى عندما جمعت سيدات مصر فى منزلها وخرجن محجبات فى مظاهرة نسائية كانت الأولى من نوعها توجهت إلى السفارات الأوربية تطالب بعودة سعد زغلول يومها حاصر البوليس عند بيت الأمة وظلت السيدات محاصرات ٣ ساعات تحت وهج الشمس مما دفع الشباب إلى القيام بمظاهرات عارمة لفك هذا الحصار وتفاديا من وقوع صدام مروع أمرت القيادة البريطانية بفك الحصار ولكن آثاره ظلت ماثلة فى الأذهان.

ثم خرجت المظاهرات النسائية الثانية فى ٢٠ مارس وفيها خرجت السيدات من الباب الخلفى لمنزل هدى شعراوى حتى لا يثرن إنتباه جنود الجيش البريطانى ثم توجهوا سيرا على الأقدام حاملات لافتات كتب عليها بالفرنسية والعربية إننا نحتج على سفك دماء الأبرار العزل من السلاح ونطلب الاستقلال التام.. وقبيل وصولهن إلى بيت الأمة حاصرهن الجيش

البريطانى ودام الحصار عدة ساعات وكانت هدى شعراوى اليد اليمنى لصفية زغلول أم المصريين ولكنها لم تكن تواكبها فى القيود والتقاليد التى تفرضها صفية على نفسها بوصفها زوجة الزعيم إنها حرة فى أن تكون هى نفسها زعيمة لكن على مستوى آخر غير المستوى السياسى ومن هنا نشأت فكرة الاتحاد النسائى الذى شكلته هدى شعراوى فى سنة ١٩٢٣ بزعامة هدى، فقد سيطرت عليه الروح المصرية الخالصة وكان وجود هدى على رأس هذا الاتحاد وفى قلب هذا الميدان إحدى ضرورات نجاح المشروع صحيح أن فكرة الاتحاد قد طرأت على خاطر سيدات مصريات من قبل لكن الإمكانات التى أعطتها هدى شعراوى كانت فوق قدراتهن جميعا.

لقد كانت هدى شعراوى فنانة تطبعا لا طبعا إذ كان قصرها يضم مجموعات من التحف الفنية كما أن مبنى الاتحاد النسائى جاء تحفة فنية أخرى.

ولقد حرصت هدى شعراوى على تشجيع إقامة المعارض الفنية كى يكون نواة معهد فنى يتبع المعهد النسائى تتعلم فيه الفتيات الصغيرات أشغال الإبرة وفنون التطريز والرسم والتصوير وكانت هدى شعراوى فى اتخاذ هذه الخطوة أقرب إلى الاشتراكية إذا اشترط المعهد الذى أنشأه الاتحاد النسائى أن تكون تلميذاته من الفقيرات اللواتى يتعلمن فيه مجاناً ولم تتعجل هدى شعراوى تنفيذ مطلب المساواة بين الجنسين رغم اعقاد لواء الزعامة النسائية لها فى عام ١٩٢٣ ذلك أنها لم تطلب اشتراك المرأة فى عضوية البرلمان فى هذه المرحلة إذ كانت تؤمن أن التطور ينبغى أن يبدأ أولا من تعليم المرأة وتحصينها اجتماعيا قبل أن يباح لها كل ما هو من حق الرجال ولهذا اقتصر مطلبها فى هذه المرحلة على الشطر الأول من حقوق المرأة السياسية وهو منح المرأة حق التصويت فى الانتخابات.

وبقدر ما كان هذا الأسلوب من هدى شعراوى محل إعجاب الرجال المثقفين والنساء المخضرمات بقدر ما كان محل نقد من الناشئات المصريات

فى ميدان السياسة لكن هدى استطاعت أن تسكت معارضيها وقد كان من حسنات هدى شعراوى أو على وجه التحديد من مآثرها إنشاء الاتحاد النسائى المصرى واشتراك المرأة المصرية فى المؤتمرات النسائية الدولية وكان ظهور الوفود النسائية المصرية فى المؤتمرات الدولية النسائية فى الخارج عملاً من أبرع الأعمال فى خدمة القضية الوطنية إلى جانب الخدمات الوطنية إلى جانب الخدمات التى كانت تسفر عنها إثارة قضية المرأة إذ عندما عقد أول مؤتمر نسائى دولى فى روما عام ١٩٢٣ حضرته هدى شعراوى مع نبوية موسى وسيزا نبراوى وبعد عودتهن قررت هدى إنشاء مجلة تتولى تعريف العالم الغربى والعربى بنساء وادى النيل وقد ظهرت هذه المجلة بالعربية والفرنسية معبرة أصدق تعبير عن مطالب الاتحاد النسائى.

وتوالت بعد ذلك رحلات هدى شعراوى إلى الشرق والغرب ممثلة نساء بلادها رافعة علمه بين أعلام الدول التى منها الوافدات على المؤتمر ولم تكن هدى شعراوى تذهب إلى المؤتمرات الدولية لمجرد التعبير عن وجود المرأة وإنما كانت حريصة بالدرجة الأولى على أن يكون صوت المرأة العربية موجوداً ومسموعاً فى كل مؤتمر وكان يعينها على ذلك أنها كانت تتميز بمقدرة فى الخطابة فقد أتاح لها ذلك أن تظفر بكثير من القرارت السياسية لصالح مصر والأمة العربية ومن ذلك أنها حصلت على قرار فى صالح مصر فى مؤتمر استنبول الذى عقد عام ١٩٣٥ وفى مؤتمر كونهاجن عام ١٩٣٩ وطالبت فيما طالبت بمنع الهجرة اليهودية الصهيونية إلى فلسطين ودافعت عن حقوق الفلسطينيين.

وفى عام ١٩٤٤ أنشأت الاتحاد النسائى سابقا على مستوى تجمع الأقطار العربية تحت سقف الجامعة العربية وبذلك تكون هدى شعراوى قد أدركت أهمية التضامن فى مواجهة كل التيارات وتكون أيضا قد وصلت بصوت حرية الوطن وتحرير المرأة إلى كل بقاع الوطن العربى قبل أن يصل إليه رجال السياسة.

وكان آخر المؤتمرات الدولية التى حضرتها المؤتمر الذى عقد عام ١٩٤٦ وفيه حذرت استخدام الأسلحة الذرية كما كانت أول صوت نسائى يرتفع داعيا إلى إلغاء البغاء فى مصر من أجل صحة المجتمع وسلامته.

ولما عادت هدى شعراوى للمرة الأولى من أوربا كانت تفكر فى هذه التقاليد الموروثة التى لا تسمح لها بالظهور سافرة فى بلادها ومن ثم قررت الثورة عليها وما كادت سفينتها تطل على الأسكندرية حتى ألقت الحجاب جانبا ودخلت مصر مع شريكة كفاحها سيزا نبراوى دون نقاب وخرجت الصور تحمل صورهما سافرات وثار كثير من الناس لكن كفاح هدى شعراوى المستمر جعل الآباء يقتنعوا تدريجيا ويتقبلون رفع الحجاب عن وجوه بناتهن وزوجاتهن وكان الدأب فى النضال من أجل تحرير المرأة ورفع شأنها ومن مزايا الزعيمة التى وهبت حياتها لرسالتها فعملت على تحديد سن زواج البنت وطالبت بتعديل قوانين الطلاق وتعدد الزوجات وحضانة الأولاد كما طالبت بمساواة الجنس فى التعليم والوظائف الحكومية لذوات الكفاية وبذلت عناية فائقة بالموهوبات وفكرت فى إنشاء ناد ثقافى للمرأة تجد فيه الكتب التى تحبها وتستمع فيه إلى الموسيقى وتقابل فى جنباته المثقفين من الكتاب والشعراء والفنانين وأطلقت على النادى اسم جمعية «الرقى الأدبى للسيدات» وخصصت لهن الحكومة آنذاك قاعة فى الجامعة المصرية يجتمعن فيها سميت قاعة «ملك حفنى ناصف» وحاربت هدى شعراوى كل معالم التخلف فى مصر من جهل ومرض وكان لها أيادٍ بيضاء على كثيرين من أبناء مصر كما كانت ترعى اليتامى والفقراء.

وكانت هدى شعراوى تدرك أبعاد قضية الحياة والمستقبل وأن النضال فى سبيلها هو نضال من أجل الأمة كلها ومن أجل الحياة جميعها.

ومن هنا تصدت هدى شعراوى فى كل المواقف لكل القضايا الوطنية مدركة أن القضية واحدة وأن خطوة على هذا الجانب تفيد فى كل الجوانب الأخرى.

وقد لاقت هدى شعراوى ربها عام ١٩٤٧ بعد كفاح طويل ضد المشاكل التى تعوق تقدم المرأة المصرية وحققت للحركة النسائية المصرية والعربية الكثير وأسهمت فى انطلاق ثقافى وسياسى واجتماعى كبير تنعكس آثاره اليوم على على المرأة المصرية بل والعربية فى كافة أرجاء الوطن العربى.

شجرة الـــدر

أم خليل المستعصمية الصالحية

ملـــكـة المســـلــمـين



دخلت شجرة الدر التاريخ من أوسع أبوابه إنها أول سلطانة على مصر.. إنها المرأة الداهية التى استطاعت أن تجعل فرنسا تجثو على ركبتيها أمام مصر عندما أخفت عن الجيش نبأ. وفاة قائدة، زوجها الملك الصالح نجم الدين أيوب، حتى لا تثير فى نفوس أبنائه اليأس فى المعركة التى كانوا يخوضونها ضد لويس التاسع ملك فرنسا لكن المرأة هى المرأة حاكمة أو جارية لقد خانها دهاؤها بل لقد تحولت إلى وحش كاسر عندما خانها الرجل الذى أحبته بعد أن مات زوجها الملك الصالح إن الميتة التى ماتها على يديها تشهد بأن انتقام المرأة سوف يبقى رهيباً على مر الزمان إذا ما مس الأمر قلبها لكن الأقدار شاءت أن تكون ميتة شجرة الدر أكثر ضراوة ومن السخرية أيضاً أن تكون نهايتها على يد امرأة.

لقد شهدت مصر فى العصور الإسلامية الوسطى عدة شخصيات نسائية أظهرن عندما كانت تطلب منهن المشورة فى الحكم أن آراءهن كان لها أجل الآثار وأبلغ النتائج فى حياة البلاد كما أن من بينهن من أدرن شئون مصر وصرفن أمورها بحكمة وبراعة.

ومن أبرز هؤلاء النساء شجرة الدر التى كانت أول سلطانة على مصر فى العصر الإسلامى الأوسط وذلك بعد أن انقرضت ظاهرة تولى النساء العرش حتى لم نسمع عن ملكات حكمن مصر بعد «خنت كلوس» فى أواخر الأسرة الرابعة «وحتشبسوت» فى الأسرة الثامنة عشرة «وكليوباترا» التى أثارت اهتمام العالم كما كان عصرها زاخراً بالحوادث التاريخية إذ فى عهدها هزم الصليبيون شر هزيمة ومثل قوادهم وأسر ملكهم لويس التاسع ملك فرنسا واعتقل فى دار فخر الدين بن لقمان فى المنصورة ولم يفرج عنه إلا بعد أن افتدى نفسه وعاهده على ألا يعود أبداً إلى غزو مصر.

وشجرة الدر كما جاء إسمها عند بعض المؤرخين ٣٨ حكمت مصر فى منتصف القرن السابع الهجرى الثالث عشر الميلادى ويعدها بعض المؤرخين آخر ملوك الدولة الأيوبية كما يعدها بعضهم أولى سلاطين المماليك ولعل

مرد هذا الخلاف إلى أنها تعتبر عضوا من الأسرة الأيوبية نسبة إلى زوجها الملك الصالح نجم الدين أيوب وعلى أساس أن زوجة الملك تصبح عضوا فى أسرته بينما كانت عند المماليك واحدة منهن إذا كانت جارية مملوكة قبل أن تكون زوجة للملك كانت شجرة الدر فى صحبة زوجها الملك الصالح فى بلاد المشرق فى حياة أبيه السلطان الكامل، ثم ظلت معه حينما حبسه الملك الناصر داود صاحب حلب بالكرك سنة ٦٣٧ هـ ولقد اشتهر عنها الذكاء والدهاء والجمال وتوطدت مكانتها مع مولد ابنها خليل حتى لقد سميت «أم الخليل» وغلب عليها هذا اللقب حتى بعد وفاة ولدها ثم لزمها طوال حياتها ولما اعتل الصالح أيوب بمرض السلطنة الأيوبية فى مصر تبوأت شجرة الدر أسمى مكانة وغدت ملكة غير متوجة فقد كان من صفاته الرأى وسعة النفس وبسطه الكف بحيث صارت بين الجميع ملكة بلا تاج يدينون لها بالحب والولاء والطاعة وعندما أقبل الفرنسيون بقيادة الملك لويس التاسع فى حملتهم الصليبية انتقل الملك الصالح إلى المنصورة لكى يشرف بنفسه على تدابير الدفاع عن البلاد ضد الجيش المغير ونزل الفرنسيون إلى الساحل عند دمياط حيث أوقعوا بجيوش المصريين التى تقهقرت أمامهم فى غير نطاقه حتى بلغت فلو لهم مدينة المنصورة ورغم أن الملك كان مريضا وكانت العلة قد اشتدت عليه حتى الزمته الفراش إلا أنه بعد أن أتم تحصين المنصورة أخذ يعد العدة لملاقاة العدو وتعاونه فى ذلك شجرة الدر لكن حياة الملك الصالح لم تطل فقد لفظ أنفاسه فى ليلة النصف من شعبان سنة ٦٤٧ هـ.

امرأة فى ريعان الصبا فقدت رجلها ملكة ذات سلطان توشك أن تنزل عن العرش قائد فى المعركة قد أحيط به ويوشك أن يتخلى عسكره كل أولئك الرجل والعرش والنصر ثلاثة أهداف بعيدة يجب أن تحرص شجرة الدر على بلوغها وتجلى دهاؤها فى أنها أخفت نبأ وفاة زوجها فى تلك الفترة الحرجة من تاريخ مصر ذلك أنها رأت أن الجيش لو عرف أن قائده الأعلى قد مات لوهن وضعف وتفشى الاضطراب فى صفوفه ولاشتد أزر العدو المتربص إن موت القائد وسط المعركة أكبر كارثة يصاب بها جيش محارب.. وثم تدبير كل

شئ كما رسمته شجرة الدر استمرت الحياة فى القصر الملكى فى المنصورة كما لو كان حيا لم يتغير منها شئ مما يألفه الناس.. ترفع المكاتيب والأحكام إلى القصر ليرى الملك فيها رأيه ثم تخرج وعليها توقيع الملك برأيه وحظه وتصدر الأوامر إلى الأمراء والقادة ورؤساء الجند وعليها خاتم الملك وحفظه.

مضت شجرة الدر ترقب حركات العدو وتضع الخطط للإيقاع به وبلغ من حماسها أنها كانت ترقب المعركة وسيرها وتضافر الأهالى مع الجند فى التنكيل بالأعداد إلا أن أمراء المماليك بدأوا يتهامسون بأن الملك قد مات فأجمعوا أمرهم على استدعاء الأمير توران شاه ابن الملك الذى كان يقيم فى كيفا على حدود ما كان يسمى تركستان وعلمت شجرة الدر بما يفعل أمراء المماليك فأرسلت إلى حصن كيفا رسولا يسبق أمراء المماليك لكى يدعو ابن زوجها فتكون صاحبة الفضل عليه، وما أن وصل توران شاه إلى القاهرة حتى تسلم قيادة الحكم وزمام الملك. وكان توران شاه ضعيف الرأى واهن الهمة والمروءة فاستطاع أصحاب السوء أن يغلبوه على إرادته وأن يستبدلوا بالأمر دونه وتنكر لشجرة الدر زوجة أبيه ولم يذكر لها جميلها فى حفظ العرش له فاتفق الأمراء والمماليك وشجرة الدر على قتله ويعتبر بعض المؤرخين أن توران شاه هو آخر سلاطين الدولة الأيوبية على حين أن أغلب المؤرخين اعتبروا أن شجرة الدر السلطانة الأخيرة فى هذه الدولة لأنها زوجة الصالح أيوب ووريثه توران شاه. وعقب مقتل توران شاه نادى كبار رجال الدولة بشجرة الدر وسلطانه على مصر على أن يكون الأمير عز الدين أيبك مقدما للعساكر ولم ينكر إلى أحد فى مصر على شجرة الدر حقها فى اعتلاء عرش الأيوبين إلا من حيث أنها امرأة فلولا أن التقاليد فى مصر الإسلامية لم تشهد قبل شجرة الدر أنثى على العرش لدان لها الجميع بالولاء والطاعة فى اخلاص ومحبة فقد كانت من أحكام التدبير وحسن السياسة وسعة الأفق وطيب السمعة بحيث لا يعرض ذكرها على لسان إلا فى معرض الإعجاب والتقدير ولم تنس شجرة الدرة حين أجمع الأمراء على توليتها أن تسويتها هى وحدها الحجة التى يمكن أن تحتج بها الذين ينكرون عليها أن تكون ملكة

لذلك حرصت من أول يوم على أن تضيف اسمها إلى اسم آخر لا تنكر عليه التقاليد حق الملكية.

ومن ثم صار اسمها منذ وليت العرش «الملكة أم خليل» وكأنها ترى فى الأمومة ما يدم كيانها ومطلبها لكن شجرة الدر خافت من ألا يعترف بها الخليفة فى بغداد «المستعصم بالله» فأضافت إلى اسمها صفة أخرى فهى «شجرة الدر» «أم خليل المستعصمية» ونقش إسمها على السكة (أى العملة).

العبارة الآتية «المستعصمية الصالحة ملكة المسلمين والدة الملك المنصور خليل أم المؤمنين» وصدرت باسمها الأحكام ودعى لها على المنابر وخلعت على الأمراء فأفاضت وأغدقت الصدقة على الفقراء ونشرت راية الإسلام وحكمت شجرة الدر مدة ثمانين يوما لا غير ويقال إن الخليفة العباسى لم يقبل أن تتولى حكم مصر إمرأة فأرسل إلى زعماء المماليك يقول لهم «إن كانت الرجال قد عدمت عندكم فاعلمونا حتى نسير لكم رجلا لكن دهاء شجرة الدر وحرصها على أن تبقى على عرش مصر فى مواجهة هذا الرفض من الخليفة جعلها تتزوج من عز الدين أيبك التركمانى بعد أن أجبرته على أن يطلق زوجته ويقطع كل صلة له بها وبولدها وكانت ملكة أرملة فعادت زوجة وإنها لتأمل أن تصير أماً إلا أن منازعات ما لبثت أن قامت بين عز الدين أيبك وبين كبار المماليك استمرة إلى سنة ٦٥٥ هـ ١٢٥٧ م حين ساءت العلاقة بينه وبين زوجته شجرة الدر فقد دب فى نفسها دبيب الغيرة مما جعل أيبك يمل هذه الحياة الزوجية وأرسل إلى الملك بدر الدين لؤلؤ صاحب الموصل يخطب إبنته ويبدو أنه كان يرمى بذلك إلى التخلص من شجرة الدر ولم يكن غريبا أن تفكر شجرة الدر فيما يمكن أن يحدث بعد أن جاءتها الأخبار إنها أيضا تعرف الحقيقة المؤكدة التى تقول إنها لم تتخلص منه تخلص هو منها ومن هنا توجست من زوجها ضغينة فبعثت إليه تتلطف وتلتمس منه الصفح عنها.. واستقبلته فى حفاوة وكانت قد أعدت له خمسة من غلمانها الأشداء انقضوا عليه وأخذوا يضربونه «بالقبقاب على رأسه حتى مات»..

وجلست شجرة الدر بجوار جسد زوجها تبكيه بدموع صادقة لقد أحبته وقتلته ولم تكن تعلم أن عليا بن عز الدين أيبك قد جلس على عرش أبيه وأنه اقام فى قصر القلعة مع أمه التى تحقد عليها وتتربص بها وإنها لتعلم أن مماليكها الذين يحمون البرج الذى لجأت إليه لن يمنعوها طويلا فلم تخشين الموت ولا تفكر فى الهرب ذلك إنها كانت تفكر فى كيفية التخلص من جواهرها وحليها وحتى لا تؤول إلى درتها فجمعت كل ما تملك من جواهر وذهب وسحقته فى هون ونثرته فى الرياح.. ثم أسلمت نفسها.

وفى العاشر من ربيع الثانى ٦٥٧ هـ ذهب المماليك المعزية إلى البرج الأحمر وقبضوا على شجرة الدر وحملوها إلى أم السلطان على لكى تتولى قتلها بنفسها فضربها الجوارى بالقباقيب إلى أن ماتت وألقوها من سور القلعة.. وهكذا ماتت شجرة الدر بعد أن ظلت سنين طويلة زينة البلاط وسيدة النفوذ فى مصر.

نـــور التتريـــة

فى مطلع القرن الثامن للهجرة تفاقم الخطر على مصر واشتد ضغط التتر على حدودها وتدفقت جيوشهم بقيادة غازان خان صاحب فارس على الأقاليم الشامية الخاضعة لدولة المماليك فى مصر وعبثا حاول الولاة والأمراء صد ذلك التيار بمساعدة الجيوش المصرية فقد أحرز غازان انتصارا رائعا على قوات المماليك وحلفائهم فى «حمص» سنة ٧٠٠ للهجرة الموافق لسنة ١٣٠٠ م ولو لم تصمد له حامية «دمشق» المصرية لواصل الفاتح التترى زحفه واجتاح صحراء سيناء وهاجم المماليك فى عقر دارهم.

وكان الملك الناصر محمد بن قلاوون الجالس على عرش الدولة المصرية يواجه فى آن واحد صعابا فى الداخل وحروبا فى الخارج ولكنه فى ذلك الظرف العصيب نسى أحقاده وخصوماته ودعى أصدقاءه وأعداءه من أقطاب البلاد على السواء وبسط لهم الحالة وقال إن مصر فى خطر يهدد كيانها ولو غزاها التتر لأصبح المماليك جميعا والشعب المصرى بأسره عبيدا أرقاء لأولئك الأجلاف القساه.

وتوحدت البلاد واجتمعت الكلمة وعقدت الخناجر فى كتلة متواصلة متماسكة بقيادة الملك الناصر فمشى على رأس جيش للقاء العدو الزاحف واشتبك الفريقان بمعركة رهيبة بالقرب من دمشق فى مكان يدعى «عين الصفر» وذلك فى سنة ٧٠٣ هـ، ١٣٠٣ م فكان النصر هذه المرة حليف الجيوش المصرية.

مزق الملك الناصر وحلفاءه من الأمراء السوريين جيشا قوامه مائة ألف جندى تترى فقتل منهم خلق لا يحصى ووقع فى الأسر عشرة آلاف مقاتل واستولى المصريون على عشرين ألف رأس من الماشية وآلاف من الخيول وأكداس من الأسلحة وعادوا إلى بلادهم فاستقبلوا فيها استقبال الغزاه الفاتحين وكسرت شوكة التتر من ذلك الوقت ولم تقم لهم قائمة مدة قرن بكامله ومات غازان خان غيظاً وكمداً.

بعد معركة مرج الصفر وفرار الباقية الباقية من جيش التتر فى

السجون والآكام لم يفكر المصريون فى أخذ قسطهم من الراحة بل انتشروا فى ميدان المعركة والمنافذ المتشعبة منه يلتقطون الأسرى ويجمعون الأسلاب وفى سفح أكما تكسوها رياحين عصر الجندى «أحمد النبال» على امرأة تضم على صدرها طفلة فى الخامسة أو السادسة من العمر ترتعش من الخوف والحمى والمرأة تجالد نفسها وتواسى الطفلة بعبارات أفرغت فيها حدب الأم وحنانها ودهش الجندى لهذا المنظر غير المألوف فى ميادين القطار ولكن المرأة رفعت إليه عينها الدامعتين وقد تجلى فيهما الذعر واليأس وبادرته قائلة:

ـ أيا كنت أيها البطل المقدام وأيا كان القوم الذين تنتمى إليهم إن الله هو الذى ساقك إلى فى هذه الساعة الرهيبة التى توشك فيها الروح أن تفارقنى اسمع ما أقوله لك وأقسم إنك ستنفذ إرادتى الأخيرة.

وقف الجندى أمام المرأة وتمتم قائلا بدون أن يفكر طويلا فى الأمر.

ـ أقسم لك أيتها الغريبة بأن أصنع ما تطلبين منى إن كان ذلك فى وسعى فتكلمى.

واستطردت المرأة تقول:

ـ اسمى «نور خاتون» زوجة الأمير برهام الأصفهانى من عظماء فارس ومن القواد الذين التحقوا بجيش التتر هذا الذى هزم فى معركة اليوم وهذه ابنتى ووحيدتى واسمها مثلى أيضا «نور» وقد جئنا إلى هنا لأن زوجى يرغمنا على السير معه فى أيام السلم وأيام الحرب على السواء مدفوعا بغيرة شديدة تجعله غير قادر على احتمال فراقى يوما واحدا ويظنه الناس مجنونا ولكنه ليس أكثر من رجل غيور إلى حد يقرب من الجنون وقد قتل برهام الأصفهانى اليوم فمات ميتة الأبطال أما أنا فقد رفصنى حصان جامح فأصاب منى مقتلا، وأشعر بأننى لن أرى فجر الغد وقل لى أمصرى أنت؟

ـ نعم وإسمى أحمد النبال من الرماه فى جيش الملك الناصر محمد بن

قلاوون.

ـ ليحفظك الله.. خذ إذن هذه الطفلة الضعيفة التى أصبحت منذ هذه اللحظة يتيمة لا معين لها فى هذه الدنيا وخذ معها كيس النقود هذا وفيه مقدار من الذهب.. وهذا الصندوق الصغير بحجمه الثمين بما يحويه ووصيتى إليك أن تعنى الطفلة وتتبناها وأن تنفق النقود الذهبية بدون أن تمس الصندوق الذى يجب أن تفتحه أمام صاحبته الصغيرة هذه عندما تبلغ الخامسة عشرة من العمر ولها أن تتصرف بما فيه كما تشاء قالت المرأة هذا وأنهكها المجهود الذى بذلته للافضاء إلى الجندى المصرى لرغبتها الأخيرة فخانتها قواها ومال رأسها إلى الخلف ولما تقدم أحمد النبال بمحاولة اسعافها لم تلمس يداه غير جثة هامدة ولم يترك أذنيه غير زفرات طفلة يتيمة ألقت بنفسها على أمها الميتة باكية منتحبة ولم يكن الجندى الشجاع يتصور قبل بدء المعركة إنه سيخرج منها وبين يديه طفلة تبناها وكيس من الذهب وصندوق مغلق لا يعرف ما تضمه جوانبه فى يوم بهيج من أيامه سنة ٧٢٠ هـ الموافق لسنة ١٣٢٠ م غمر الفرح مصر بأسرها وأقيمت الزينات فى المدن والدساكر ووزعت لحومها على المحتاجين وخرجت كتائب الجيش من ثكانتها وطافت فى عرض رائع قابله الشعب بالتهليل والتكبير ودعا الناس بالسعادة وطول العمر للسلطان الملك الناصر محمد بن قلاوون الذى عم الرغد البلاد فى عهده وخيم الأمن على ربوعها وراجت التجارة وازدهرت الصناعة والزراعة وانفقت الأموال بسخاء فى المشروعات العامة وانشئت المدارس وشيدت المساجد وبلغ الجيش حامى الحمى وحارس الوطن مرتبة من المناعة والقوة قلما عرفها من قبل فأية غرابة إذن فى أن تفرح مصر وتبتهج فى ذلك اليوم السعيد الذى احتفل فيه الملك الناصر بزواجه من امرأة جديدة هى «طلبيه خاتون» إبنة الأمير ازبك خان التترى خصوصا وأن ذلك الزواج كان يرمى أيضا إلى هدف سياسى هو توثيق الروابط بين مصر وأولئك التتر الذين أمنت شرهم بالمصاهرة بعد أن كسرت شوكتهم أولا فى ميادين القتال.

فى ذلك اليوم كانت مدينة «النحريرية» من أعمال مصر الغربية فى هرج ومرج ففى تلك المدينة كان يعيش مائة وعشرون من قدماء المحاربين هم البقية الباقية من ثلاثمائة فارس من أبناء المدينة خرجوا إلى مقاتلة التتر تحت لواء الملك الناصر فى سنة ٧٠٣ هـ.

واشتركوا فى معركة «مرج الصفر» بأرض الشام وعاد منهم إلى مسقط رأسهم النحريرية مائة وخمسة فقط ثم لقى فريق منهم حتفهم فى ظروف ومناسبات وبقى أولئك الأبطال المائة والعشرون رمزاً لما أبدته المدينة العامرة من سخاء فى أداء ضريبة الدم للوطن المصرى فى ساعات الهول والشدة وكان بين أولئك الأبطال واحد يحفظ من تلك المعركة ذكريات خاصة ذلك هو الجندى «أحمد النبال» الذى عاد من «مرج الصفر» بطفلة يتيمة وكيس من الذهب وصندوق مختوم فهو الآن يعيش فى بلدته «النحريرية» عيشة سعيدة هنيئة وتعيش معه زوجته وبناته وتلك الطفلة التى أصبحت امرأة شابة فى الثانية والعشرين من العمر عليها مسحة من الجمال الشرقى الرائع وعلى محياها دلائل النبل وكرم المحتد وقد فتح الصندوق المعلق عندما بلغت نور الخامسة عشرة من عمرها فإذا به يضم بين جوانبه كمية من الحلى والجواهر والحجارة الكريمة مما يجعل الفتاة اليتيمة على جانب عظيم من الثراء.

وارادت نور التترية أن تعبر عن وفائها للرجل الذى انقذ حياتها وتبناها وللبلدة التى عاشت فيها منذ أن أصبحت مصر وطنا لها فوزعت جزءا من تلك الثروة على المحتاجين من السكان وخصت أسرتها بمال وفير وأجرت معاشا لكل واحد من أبطال النحريرية الذين اشتركوا فى معركة مرج الصفر التى ماتت فيها أمها لاحقة بابيها بعد أن تركتها وديعة عند أحمد النبال وهكذا عاش أولئك الأبطال فى طمأنينة ورخاء بفضل ما أبدته نحوهم الأميرة التترية الوفية من كرم وعرفان جميل أما الجندى الذى تبناها فقد أعطته من ثروتها ما يكفى لإنشاء مصنع للأسلحة وعلي الخصوص للأقواس

والسهام وهكذا أصبح أحمد النحريري يحمل اسما مزدوج المعني وصار النبال يصنع النبال ويجيد رشقها علي السواء. فلا غرابة إذن في أن تكون بلدة النحريريه سباقة إلي التعبير عن فرحها وأن ترتدي ثوب البهجة والحبور في ذلك اليوم الذى احتفل فيه الملك الناصر بزواجه من الأميرة التترية فقد عاد أبطال مرج الصفر ذكريات الماضى وأعدوا فى السهول الممتدة حول بلدتهم مهرجاناً دعوا سكان النحريرية والقرى المجاورة إلى الاشتراك فيه وحولوا السهول إلى ميدان لسباق الفرسان ومباراة المصارعين والضاربين بالسيف وراشقى النبال والسهام وظل حاملو المشاعل ليطوفوا بها طول الليل حتى أدركهم فجر اليوم التالى وهم على حالهم من مرح برىء وانصراف عن هموم الدنيا ومتاعبها.

وأبى سكان النحريرية إلا أن يشاركهم فى مهرجانهم أمير الناحية شمس الدين سنقر السعدى نقيب الجيوش المصرية فى ذلك العهد وصاحب الفضل الأكبر واليد الطولى فيما بلغته البلدة وما يتبعها من قرى ومزارع وحقول من تقدم وعمار وازدهار فهو الذى يضع أسس حكرها وخرجها ووسع أسواقها وشيد فيها الجوامع والمدارس والفنادق وغرس حولها الحدائق والبساتين وجر إليها الماء وشجع فيها التجارة والصناع وهو الذى عنى بتغذية الروح العسكرية فى نفوس أبنائها مما حملهم على الاشتغال فى صناعة الأسلحة والأقبال على الانخراط فى سلك الجيش والعناية بتربية الخيول وقد عرف له السكان فضله وأياديه البيضاء فأحبوه وأخلصوا ولهذا أبوا ألا أن يشاهد مهرجانهم الذى أقاموه بمناسبة زواج السلطان. ولم يرفض شمس الدين اجابتهم إلى رجائهم بل غادر الأسكندرية حيث يقيم وذهب إلى النحريرية حيث اختلط بالناس وشاركهم أفراحهم كان شمس الدين سنقر يعرف الفتاة التترية «نور» ولا يجهل قصتها وكان على علم بما تصنعه من خير فى البلدة التى استقرت فيها وما تجريه من أرزاق على أبطال مرج الصفر، وما تنفقه من مال فى الترفيه عن المساكين وإعانة المعوزين ولكنه لم يكن قد شعر تجاهها حتى ذلك اليوم بغير ما يشعر به الكريم من احترام

وتقدير تجاه كريم مثله يصنع الخير ويتجنب الشر غير أن المهرجان الذى أقيم سنة ٧٢٠ هـ كان مقدرا له أن يترك فى حياة شمس الدين أثرا لم يكن الرجل يحسب له حساباً خرجت «نور» فى موكب يتقدمه هودجها لتحية الأمير القادم إلى البلدة والترحيب به وكانت فى حلة تترية مزركشة بالفضة والقصب وقدأرخت خمارها ولفته حول وجهها وبرقت من خلال ثناياها السوداوان فكانت نظراتها فى تلك المقابلة كافية لبعث الاضطراب فى نفس شمس الدين فقد رشقته العينان الساحرتان بنبال أشد فتكا من نبال النحريرية لأنها نفذت إلى أعماق صدره وتركته صريع الهوى وما أشرف المهرجان على نهايته وما طلع فجر الغد حتى كان شمس الدين سنقر السعدى قد تقدم إلى الفتاة التترية يعرض عليها أن تكون زوجة حليلة وأن تشاركه إسمه ومقامه ومكانته.

وفى بيت أحمد النبال وبحضور أفراد الأسرة وأعيان البلدة وأكبر الرجال سنا من ابطال مرج الصفر تم الزواج الذى أراده نقيب الجيش فكان له ما أراد بين يوم وغد.

حدد شمس الدين يوما للرحيل عن النحريرية والعودة إلى الأسكندرية وإذا بنور التترية يتولاها الجزع فجأة فتدعو الجندى السابق الذى تبناها وزوجته وبناته والرجل الذى اختارها زوجة له إلى مجلس ضمهم جميعا فى بيت أحمد النبال وتفضى إليهم بما قالت أنه سر حفظته مكتوما فى صدرها وقد جاء الوقت لكى تبوح به.

وقالت المرأة وهى تشير إلى رق طوته بين أصابعها وكان صوتها يرتجف ووجهها يعلوه الشحوب.

إن أسرتى هذه تعلم أن كثيرين من شبان هذه البلدة ومن أبناء الأمراء فى مصر قد تقدموا عارضين على الزواج وإننى كنت دائما أرفض مجرد التفكير فى الأمر قائلة: إننى وقفت حياتى وثروتى وكل ما أملك على أعمال البر والخير وأسرتى هذه تعلم أيضا أننى كنت دائما أرفض الخروج من البلدة

وإننى لم أعرف من الأرض المصرية حتى الآن غير هذه الناحية وما يكتنفها من حقول وما فعلت ذلك وما وقفت ذلك الموقف وسلكت ذلك السلوك إلا لأننى كنت أتوجس خيفة من الزواج ومن الابتعاد عن هذه البلدة التى أحببتها وأحببت أهلها فبادلونى حبا بحب ووفاء بوفاء أما سبب مخاوفى فهو مدون فى هذا الرق باللغة التركية وقد عثرت عليه مطويا بين محتويات الصندوق المغلق الذى فتحه أحمد النبال يوم بلوغى الخامسة عشرة من سنى حياتى أى منذ سبعة أعوام لقد قرأنا هذا الرق فى ذلك الوقت ولم نأبه بما جاء فيه ونسيتموه جميعا ولكنى ظللت أذكره واحتفظ به والتتر قوم يؤمنون بأقوال العرافين والضاربين بالرمل والقارئين فى صفحة الغيب وقد ورثت هذا الإيمان عن قومى ولكننى شعرت بدافع خفى يدفعنى إلى قبول ما عرضه علىّ الأمير شمس الدين سنقر فرضيت بأن أصبح له زوجة وأن أرحل معه إلى حيث يريد بالرغم مما فى هذا الرق من تحذير.

قالت التترية هذا ودفعت بالرق إلى شمس الدين فأخذه من يدها ونثره وهم بقراءته بينما كان أحمد النبال يتمتم قائلا:

ـ نعم.. نعم اذكر هذا ولكننى لا اعتقد أن فيه ما يوجب القلق والاضطراب.

وقرأ شمس الدين سنقر هذه العبارات المدونة فى الرق «لا تربطى حياتك بحياة رجل ولا تخرجى من مكان أنت فيه بعد أن يتم القمر دورته الثمانين بعد المئة وإذا فعلت أحد الأمرين فالموت يترصدك ولن تستطيعى دفعه عنك»

وتبادل الجميع النظرات وساد المكان سكوت رهيب فقالت نور:

ـ لقد خالفت الشطر الأول من هذا النذير وربطت حياتى بحياة رجل هو أنت يا شمس الدين فقاطعها السعدى قائلا:

ـ ولكننى أرغب إليك فى ألا تخالفى الشطر الثانى وستبقين مقيمة هنا

فى النحريرية وأقيم أنا معك بقدر ما تسمح لى الظروف من أيام السنة.

ظلت نور التترية إذن فى البلدة التى أحبتها وراحت تعاون زوجها أمير الناحية فى تنمية ثروة النحريرية مما زاد سكانها رخاء على رخاء وهناء على هناء ولكن الأقدار كانت تخبىء للمرأة الطيبة الخيرة مفاجأة أخرى. فقد عرف الملك الناصر محمد بن قلاوون بما بلغته البلدة وملحقاتها من ازدهار لم تبلغه ناحية سواها فى مصر كلها فرغب إلى أميرها شمس الدين سنقر فى أن يتنازل له عنها مقابل الثمن الذى يريد.

ولم يكن فى وسع شمس الدين أن يرد للسلطان طلبا فاستجاب لرغبته وانتقلت النحريرية من يد أميرها إلى يد الملك الناصر صاحب العرش وكان لابد لشمس الدين من الرحيل نهائيا إلى مقر آخر ومن أخذ زوجته المحبوبة معه.

ووزعت نور التترية ما تبقى من ثروتها على أبطال مرج الصفر من أبناء البلدة وودعت الأسرة التى عاشت فى كنفها وخرجت للمرة الأولى من النحريرية منذ أن وطئتها قدماها وهى طفلة يتيمة.

وكان ذلك الوداع الأخير.

فقد غرقت نور زوجة شمس الدين سنقر فى النيل قبل أن تبلغ مقرها الجديد فى الأسكندرية وتحققت نبوءة العراف المدونة فى الرق وكان ذلك سنة ٧٢٧ هـ ١٣٢٧م وقبل مرور سنة على وفاة زوجته غرقا وافت المنية زوجها شمس الدين سنقر السعدى.

كـــوثـــر

الغيرة دفعت بها إلى الجنون
وبسبب جنونها أنشئ «المارستان»
فى مصر

أرسل خمارويه بن أحمد بن طولون فى طلب ابن يعقوب الطبيب القبطى الذى يقر الجميع بعلمه وبراعته وقال له:

- يا ابن يعقوب إننى أضع فيك أملى وثقتى لقد قيل لى أنك الرجل الوحيد الذى فى مقدوره أن يشفى زوجتى المحبوبة من الداء المجهول الذى تشكو منه وكوثر يا ابن يعقوب نصرانية النشأة مثلك. اعتنق أبوها القبطى الإسلام فحذت حذوه ووقع عليها اختيارى فاتخذتها زوجة لى وأحللتها بين نسائى مكانة سامية فهى أحبهن إلى وأبعدهن سلطانا على وهى الآن مريضة ولن أبخل بمال وجاه على من يشفيها من مرضها فكن أنت ذلك الطبيب الشافى ولك منى ما تريد.

فأجاب ابن يعقوب

- سأكون عند حسن ظنك أيها المولى وسأبذل فى سبيل شفائها علمى ووقتى ومهارتى.

تولى خمارويه الحكم فى مصر بعد موت أبيه أحمد بن طولون فى سنة ٢٧٠ للهجرة الموافق لسنة ٨٨٣ للميلاد فنسج على منوال أبيه العظيم فى إدارة شئون مملكته وتوسيع حدودها وعلاء كلمته الطولونية فى الأقطار الإسلامية وتشييد المساجد والقصور فى مصر وإقامة العدل بين الرعية.

وكان جندياً شجاعا وقائدا محنكا وإداريا حازماً يعمل لتقوية دعائم ملكه ويستغل مواهب النوابغ من رعاياه بدون استثناء.

قيل له ذات يوم أن الفتاة كوثر ابنة أحد رجال الحرس، الذى اعتنق الإسلام فى عهد ابن طولون ابرع بنات مصر جمالاً وافتكهن لحظا فأرسل فى طلب أبيها ورغب إليه فى اتخاذ ابنته زوجة له وما أقامت كوثر فى قصره خمارويه بضعة أيام حتى كان الطولونى قد أخذ بسحر عينيها وشعر بأن تلك المرأة المصرية السمراء قد ملكت حواسه وقيدت قلبه بسلاسل الحب فأضحى لها عبدا وأضحت له خادمة طائعة.

ولكن القصر كان يعج بالنساء اللاتى جىء بهن من مصر والشام وبلاد الكرخ والشركس وغيرها من الأنحاء فجعلت كوثر العاشقة المعشوقة تتميز غيظا وتتقلب على جمر الغيرة وتنظر بعين الكره والغضب إلى أولئك النسوة اللواتى يشغلن زوجها المحبوب عنها من وقت إلى آخر وهى التى كانت تود أن تستأثر به لنفسها ليلا ونهاراً. ذاقت كوثر أنواع الآلام النفسية والعذاب المبرح القاسى الذى يعرفه العاشقون المتيمون والذى يذيب الجسم ويفقد الصواب. وفى صبيحة يوم شديد الغيظ سمع سكان القصر صياحا عاليا ينبعث من خدر الزوجة المحبوبة.

وخرجت كوثر إلى القاعات الرحبة وجعلت تعد فيها صارخة باكية ضاحكة ثائرة.

وهكذا انتهى الحب بها إلى الجنون.

مرت أيام على ذلك الحديث الذى دار بين خمارويه والطبيب القبطى ابن يعقوب وكان الزوج لا يفارق زوجته لحظة واحدة يرقد بجانبها ويهدىء ثوراتها دون أن يفطن إلى الحقيقة المؤلمة وهى أن زوجته المحبوبة قد جنت من شدة حبها وأنه الجانى عليها.

وقال الطبيب القبطى كلمته التى أملاها عليه العلم لا سبيل إلى الشفاء إلا بواسطة علاج خاص ينفذ بدقة وعناية وإذا كان خمارويه أحمد بن طولون يرغب فى القيام بعمل يعيد إلى زوجته عقلها الشارد الضائع ويسجل له الأيادى البيضاء إلى الآن ويجعل الأحقاب تتناقل اسمه مصحوبا بالدعوات الطيبة ويترك فى مصر ذكرى لن تمحوها الدهور فى المستقبل فعليه أن ينشىء فى عاصمة ملكه داراً لمعالجة المعتوهين والمجاذيب والمجانين وأن يفتح الدار بنفسه ويدخل إليها زوجته المحبوبة لكى تخرج منها بعد مدة من الزمن وقد شفيت مما ألم بها.

فشيد خمارويه تلك الدار التى أشار الطبيب القبطى بإنشائها فعرفت

باسم «المارستان» وقد عزا المؤرخون خطأ فضل تشييدها إلى أبيه أحمد بن طولون وأول من دخل «المارستان» للمعالجة «كوثر» القبطية المسلمة زوجة خمارويه وقد خرجت من الدار سليمة العقل والجسم معًا.

وعادت كوثر إلى قصر زوجها وعاد معها الحب وأهمل خمارويه نساءه الكثيرات من أجل الحبيبة المختارة.

فحنقن عليه وجعلت أكثرهن غيرة وأبعدهن حسدًا وأمهرن فى دس الدسائس وحبك المكايد توغر صدور النساء الآخريات فأخذن يتآمرن مع رجال الحاشية والحرس ويبذلن فى سبيل ذلك المال والجمال فتكونت منهن ومن شركائهن عصبة شريرة للفتك بخمارويه واغتياله عندما تسنح الفرصة فى ١٩ رجب ٢٧٩ هـ الموافقة لسنة ٨٩٢ م. بويع بالخلافة أبو العباس ابن أحمد الموفق المعروف بالمعتضد بالله وهو السادس عشر من الخلفاء العباسيين.

وعزم خمارويه بن أحمد بن طولون على إيفاد رسول من لدنه يحمل إلى الخليفة ببغداد الهدايا الثمينة فأرسل فى طلب صديقه الحسين بن عبد الله المعروف بابن الخصاص وأبلغه قراره فى إيفاد رسول إلى المعتضد بالله فتقبل الخصاص قرار مولاه بالرضا والارتياح وانصرف من القصر على أن يعد العدة للسفر إلى مقام الخليفة.

كان ابن الخصاص يعلم أن لخمارويه إبنة حسناء تدعى «قطر الندى» وأنها أجمل نساء عصرها على الإطلاق فعزم على أن يعرض على المعتضد اتخاذها زوجة لابنه على ليأمن العباسيون فى مستقبل الأيام شر الطولونيين ويخمدوا فيهم بوساطة ذلك الزوج روح التمرد والعصيان.

وبعد أيام شد ابن الخصاص الرحال إلى المعتضد بالله العباسى ومعه الهدايا من العين عشرون حملاً على بغال وعشرة من الخدم وصندوقان فيهما طراز وعشرون رجلا على عشرين نجيبا بسروج محلاة بفضة كثيرة

ومعهم جراب من الفضة وعليهم أقبية الديباج والمناطق المحلاة وسبع عشرة دابة بسروج ولجم منها خمسة من الذهب والباقى من الفضة وسبع وثلاثون دابة محملة أشياء أخرى كثيرة.

وصل ابن الخصاص إلى المعتضد بالله فتقبل الخليفة هدية صاحب مصر وخلع على الرسول وعلى سبعة أشخاص معه. ثم أفضى ابن الخصاص إلى الخليفة بخبر الفتاة وقال له أن لخمارويه إبنة فاتنة خليقة أن تكون زوجة لولى عهد الخلافة على ابن المعتضد بالله.

وما أن سمع منه أبو العباس هذا حتى انتفض وقال:

- لقد بلغنى خبر الحسناء يا ابن عبد الله فاعهد إليك الآن فى أن تطلبها من خمارويه زوجة لى إن عليا ليس فى حاجة إلى زوجة كقطر الندى فهى تليق بالمعتضد بالله.

ونفح الخليفة رسول خمارويه بعشرة آلاف دينار وألح عليه بوجوب العودة إلى مصر على جناح السرعة لإبلاغ الطولونى رغبة المعتضد بالله وإرادته.

مضت سنة ثم أخرى.

وفى محرم سنة ٢٨٢ للهجرة الموافق لسنة ٨٩٥ للميلاد وصل بغداد موكب فخم يقوده ابن الخصاص الحسين بن عبد الله وفى وسط الموكب هودج فيه ابنة الطولونى قطر الندى وأدخلت الحرم ثم زفت إلى الخليفة فى شهر ذى القعدة من تلك السنة.

وقال الشاعر

يا سيد العرب الذى زفت له

باليمن والبركات سيدة العجم

أسعد بها كسعودها بك إنها

ظفرت بما فوق المطالب والهمم

ظفرت بمالىء ناظريها بهجة

وضميرها نبلا وكفيها كرم

شمس الضحى زفت إلى بدر الدجى

فتكشفت بها عن الدنيا الظلم

وولى المعتضد بالله خمارويه بن أحمد بن طولون على الشام وحلب ورتب عليه أموالاً وافرة فى حكم مصر وقطع على نفسه عهدًا بأن يعاقب كل من يتمرد على حميه ويعلن العصيان.

وأوفد ابن الخصاص إلى مصر ومعه الهدايا الفاخرة وقبل أن يصل ابن الخصاص إلى مصر كان خمارويه قد رحل عنها إلى وقت فأقام فى قصره بدمشق فى سفح الجبل الذى فوق المدينة وأخذ معه نساءه جميعهن وفى مقدمتهن كوثر.

وكان عند خمارويه أسد رباه فى قصره يمتاز عن بقية الأسود بعينيه الزرقاوين ويخلص لسيده اخلاص الكلب الأمين.

وكان خمارويه يعتقد أن أعداءه لن ينالوا منه نمالاً ما دام الأسد بجانبه يحرسه ويرد عنه الأذى. ولكن حدث قبل رحيله عن عاصمته أن قالت له إحدى زوجاته وهى أشد النساء كرها لكوثر

- يقولون يا مولاى إنك تعتمد على أسدك الأليف فى الدفاع عن نفسك وأن فى عملك هذا جبنا على من كان فى مقامك أن يترفع عنه وقد أجبت من اطلعنى على ذلك القول المتداول إنك لن تصحب أسدك الأليف فى رحلتك إلى الشام فهل أحسنت أم أخطأت.

فقال خمارويه:

- لن آخذ الأسد معى إلى الشام وسوف يعلم أولئك النمامون أنهم هم الجبناء.

ورحل خمارويه مع حرسه إلى دمشق ومعه نسائه وغلمانه ولكنه ترك الأسد الأليف فى مصر.

كانت النساء قد نجحن فى إحكام المؤامرة على خمارويه واشراك بعض قواد الجيش ورجال القصر فيها فعزم المتآمرون على تنفيذ خطتهم واغتنام فرصة وجود خمارويه فى قصره بالشام لاغتياله.

ومما ساعدهم على تنفيذ تلك الخطة أن الأسد الأليف الذى كان يربض دائما فى غرفة سيده لم يكن معه فى دمشق وفى أواخر ذى القعدة من تلك السنة التى زفت فيها ابنة خمارويه قطر الندى إلى الخليفة العباسى المعتضد بالله بن أحمد الموفق، قتل خمارويه بيد «أبى الحبيش» الذى ذبحه فى فراشه فى قصره بدمشق بمعاونة الخدم ورجال الحرس وبتحريض نساء الحرم الحواسد الغيرى.

وفى ٣ من شهر ذى الحجة بلغ المعتضد بالله خبر مصرع خمارويه فى دمشق فأمر بقتل عشرين من خدمه الذين باشروا ذبحه وكان أبو الحبيش بين الذين قتلوا بأمر من الخليفة العباسى وأوفد المعتضد بالله رسالة إلى ابن الخصاص طالبا إليه أن يعود أدراجه إلى بغداد فعاد إليها.

بكت قطر الندى أباها المحبوب وطلبت من زوجها الخليفة المعتضد أن يوفد إلى دمشق من يأتى إليها بزوجة خمارويه كوثر التى أحبها حبا جماً.

فسألها المعتضد:

ـ ولماذا تريدين منى يا قطر الندى أن آتى إليك بزوجة أبيك؟

فقالت إبنة خمارويه:

ـ إننى لا أضمر لها سوءا يا أمير المؤمنين بل أحبها وقد كانت فى مصر صديقتى الوحيدة بين نساء القصر بعد موت أمى وأنا طفلة صغيرة. فإذا طلبت منك الآن أن تجيئنى بها إلى بغداد فما ذلك إلا لأننى أريد انقاذها من أيدى النساء الآخريات اللواتى سيفتكن بها ويوردنها موارد الهلاك.

فرضى المعتضد بالله أن يجيب زوجته إلى رغبتها وأوفد ابن الخصاص من جديد إلى دمشق وزوده بالأوامر الصريحة قائلا له أن يترك نساء خمارويه وشأنهن فيرجعن إلى مصر أو يبقين فى الشام وأن يعود إليه بكوثر إلى بغداد.

فشد ابن الخصاص الرحال إلى دمشق وبلغ قصر آل طولون فى سفح الجبل فإذا به يعج بالرجال والنساء وقد اختلط فيه الحابل بالنابل وعمت الفوضى واطلق رجال خمارويه أيديهم فى السلب والنهب واستولوا على نساء سيدهم وراحوا يعيثون فى البلاد فسادا ويرهقون الناس ويستبدون بالعباد.

بحث عن كوثر المصرية فلم يجدها.

وعلم من عجوز جارية فى قصر خمارويه أن الزوجة المصرية خرجت من القصر على أثر مصرع زوجها ولجأت إلى كوخ حطاب مصرى فى غوطة دمشق.

فأسرع ابن الخصاص إلى ذلك الحطاب وسأله عن كوثر وأبلغه أمر أمير المؤمنين باعادتها إلى بغداد معززة مكرمة.

فبكى الحطاب وقال:

- لأبذلن حياتى إيها المولى فى سبيل العثور عليها فقد كان أبوها جارى فى مصر حيث كنا نصطاد السمك معا فى النيل ولجأت كوثر إلى كوخى الحقير بعد مقتل خمارويه ومكثت هنا مدة من الزمن ثم اختفت منذ ثلاثة أيام.

خشى ابن الخصاص أن يعود إلى بغداد مقترا بأذيال الفشل فعزم على البحث عن المرأة وطاف الغوطة مفتشا فى أنحائها ومعه الحطاب المصرى يدله على الطريق ويرشده إلى المخابىء.

وبعد أربعة أيام عثر الرجلان على جثة كوثر طافية على مياه «بردى» وقد اكتنفها العوسج واحتضنها العليق فحاكت لها الطبيعة من نسيجها كفنا وصنعت لها من عشبها نعشا.

بلقيس

[ملكة سبأ]



هى بلقيس بنت الهدهاد بن شرحبيل من حمير ملكة سبأ وهى يمانيه من أهل مأرب وليت الملك بعد أبيها وحاربت عمر بن أبرهة فهزمها ثم عادت فهزمته ووليت أمر اليمن كله وزحفت إلى بابل وفارس ثم عادت إلى اليمن واتخذت سبأ قاعدة لملكها.

أصل اسم بلقيس

يرى المستشرقون أن اسم بلقيس هو تحريف اسم (المقه) الذى هو اسم إله سبأ وهو القمر ويقدمه السبئيون على جميع الآلهة الأخرى ودليلهم على ذلك ما ورد من اسم (بلقيس) هو «بلقمه» أو «بلقمه» وهى قريبة من «المقه» وحرف اسم الإله السبئى بمرور السنين ونسى الأصل فصار بلقمه ثم بلقمه ثم بلقيس وحين قص القرآن الكريم قصة زيارة ملكة سبأ للنبى سليمان لم يذكر اسم الملكة غير أن المفسرين ذكروا أنها (بلقيس) وأنها من أبناء التتابعة وهى بلقيس بنت «إيلشرج» عند الطبرى أو بلقمه إبنة «اليشرج» أو هى بلقيس ابنة الهدهاد بن شرحبيل إلى غير ذلك من أقوال مدونة فى التاريخ والأخبار.

مملكة سبأ

كتب المؤرخون العرب أمثال الهمدانى وابن هشام وابن الأثير وغيرهم والجغرافيون اليونانيون كبطليموس ويللينى وسترابون عن تاريخ اليمن القديم وتقدمه الرائع فى الزراعة والعمران والتعدين وتشييد القصور والحصون وبناء السدود وصهاريج المياه وقنوات الرى ومهارة الفنانين فى نحت الأحجار وصنع التماثيل والرسم على المرمر والرخام والبرونز وغير ذلك بأجزل النعوتات وأفخم العبارات وأكد ذلك الباحثون من المستشرقين وعلماء اللغات العربية الجنوبية أمثال لورنس وهومل وفيلبى وقد كان من أسباب حضارتها ورخائها سد مأرب العظيم وكونها مملكة تجارة وقوافل فى أنحاء الدنيا.

إن الآثار التى لاتزال مطمورة تحت الرمال هى التى ستكشف لنا الحقيقة وترسم لنا صورة صادقة عن تاريخ تلك الأمم وحضارتها.

مأرب عاصمة سبأ

يقول نسابو العرب إن سبأ من مشجب هو مؤسس مدينة مأرب وتقع مدينة مأرب الحالية فوق جزء مرتفع من كوم أثرى كبير هو خرائب المدينة القديمة ذات الشهرة الذائعة الصيت فى التاريخ وأينما سار الإنسان فى تلك الخرائب يرى أحجارا عليها كتابات وبقايا تماثيل وجدران قائمة مشيدة بالحجر وأعمدة ضخمة جرانيتية غطت الأتربة أكثرها ولا يظهر منها إلا أجزاؤها العليا وترى بقايا السوق القديم كما ترى صف الأعمدة الجراتينية المربعة التى سدوا ما بينها وجعلوا منها جدارا فى المسجد المعروف باسم مسجد سليمان وهناك السور الجيرى الذى كان يحيط بالمدينة وقد تهدمت أجزاء كثيرة منه وله أربعة أبواب وعليه نقوش.

قصر بلقيس

ومن آثار مدينة مأرب الأثر الذى يعرف بالدار البيضاء المستخدم فى بنائه المرمر الأبيض المنحوت ويظن أنه قصر (سلحين) الذى كانت تقطنه الملكة بلقيس ولم يبق منه إلا بعض أحجار عليها كتابات تحكى أعمال الملوك القدامى وهو ضمن ثلاثة قصور كبيرة فى مأرب القديمة وهى سلحين والهجر والقشيب وزعموا أن الشياطين هى التى بنته لذى تبع ملك همدان حين زوج سليمان ببلقيس.

ديانة سبأ

كانت ديانة السبئيين وغيرهم من شعوب الجزيرة العربية تقوم فى أساسها على عبادة الكواكب فقد كانت الديانة الرئيسية تقوم على أساس ثالوث من الكواكب فكان الإله الأب وهو «القمر» والإله الأم وهى «الشمس» أما الإله الابن فكان «نجم الزهراء» فكان الثالوث المعبود هو «المقه» أى «القمر» ذات الحميم وهى «الشمس» عشتر وهو «الزهراء». وكانت هناك ديانات أخرى محلية للمطر والمحاصيل أو للعناصر الجوية حتى إن بعض الأسرات كانت لها آلهة خاصة بها يقدمون لها القرابين ويبنون لها الهياكل كما كان للكهنة نفوذ كبير وامتيازات خاصة كذلك كانت تقيم فى المعابد طائفة خاصة من النساء للقيام ببعض الطقوس المعينة مثلما كان يحدث فى معابد بابل وكانت هذه المعابد القديمة على درجة عظيمة من الفخامة وهى جديرة بمقارنتها بما خلفته الحضارات الأخرى.

سد مأرب

كان من أسباب الرخاء فى مملكة سبأ وهو أشهر آثار اليمن وأعظم عمل هندسى قديم فى الجزيرة العربية كلها فقد كان يروى ذلك السهل الفسيح الجميل الموقع الفائق الخصب والذى يبعد عن صنعاء شرقا ١٩٣ كم وينتهى طرفه بالربع الخالى وما كان فيه من حدائق وحقول وكانت هناك

قناتان كبيرتان تخرجان من السد إحدهما من الناحية الشمالية والأخرى من الناحية الجنوبية وكانت مدينة مأرب وما حولها من حدائق هى أهم المناطق وأعظمها وهى المقصودة بالجنة التى كانت على اليسار وأما الجنة الأخرى التى كانت على يمين الواقف على السد فكانت بها عدة قرى وفى بعضها آثار هامة.

ويقول القرآن الكريم فيها هذه الآيات:

بسم الله الرحمن الرحيم ﴿لَقَدْ كَانَ لِسَبَأٍ فِي مَسْكَنِهِمْ آيَةٌ جَنَّتَانِ عَن يَمِينٍ وَشِمَالٍ كُلُوا مِن رِّزْقِ رَبِّكُمْ وَاشْكُرُوا لَهُ بَلْدَةٌ طَيِّبَةٌ وَرَبٌّ غَفُورٌ ﴿١٥﴾ فَأَعْرَضُوا فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ سَيْلَ الْعَرِمِ وَبَدَّلْنَاهُم بِجَنَّتَيْهِمْ جَنَّتَيْنِ ذَوَاتَيْ أُكُلٍ خَمْطٍ وَأَثْلٍ وَشَيْءٍ مِّن سِدْرٍ قَلِيلٍ ﴿١٦﴾ ذَلِكَ جَزَيْنَاهُم بِمَا كَفَرُوا وَهَلْ نُجَازِي إِلاَّ الْكَفُورَ ﴿١٧﴾ وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ الْقُرَى الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا قُرًى ظَاهِرَةً وَقَدَّرْنَا فِيهَا السَّيْرَ سِيرُوا فِيهَا لَيَالِيَ وَأَيَّامًا آمِنِينَ ﴿١٨﴾ فَقَالُوا رَبَّنَا بَاعِدْ بَيْنَ أَسْفَارِنَا وَظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ فَجَعَلْنَاهُمْ أَحَادِيثَ وَمَزَّقْنَاهُمْ كُلَّ مُمَزَّقٍ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ﴾

(سورة سبأ الآيات ١٥ : ١٩)

بلقيس والملك سليمان الحكيم

وقد كان لبلقيس ملكة سبأ قصة مع الملك سليمان النبى سجلتها الكتب السماوية لترددها الأجيال إلى ما شاء الله كان سليمان الحكيم ملكا ونبيا على تدمر وقد آتاه الله علما وفضله على كثير من المؤمنين فقد علمه الله منطق الطير وآتاه من كل شىء وجعل له جنودا من الجن والإنس والطير وسخر له الريح تأتمر بأمره وفى ذات يوم تفقد سليمان الطير فلم يجد الهدهد فقد كان غائبا ويحكى القرآن الكريم القصة فيقول بسم الله الرحمن الرحيم ﴿وَتَفَقَّدَ الطَّيْرَ فَقَالَ مَا لِيَ لا أَرَى الْهُدْهُدَ أَمْ كَانَ مِنَ الْغَائِبِينَ ﴿٢٠﴾ لَأُعَذِّبَنَّهُ عَذَابًا شَدِيدًا أَوْ لَأَذْبَحَنَّهُ أَوْ لَيَأْتِيَنِّي بِسُلْطَانٍ مُّبِينٍ ﴿٢١﴾ فَمَكَثَ غَيْرَ بَعِيدٍ فَقَالَ أَحَطتُ بِمَا لَمْ تُحِطْ بِهِ وَجِئْتُكَ مِن سَبَإٍ بِنَبَإٍ يَقِينٍ ﴿٢٢﴾ إِنِّي وَجَدتُّ امْرَأَةً تَمْلِكُهُمْ

وَأُوتِيَتْ مِن كُلِّ شَيْءٍ وَلَهَا عَرْشٌ عَظِيمٌ ﴿٢٣﴾ وَجَدتُّهَا وَقَوْمَهَا يَسْجُدُونَ لِلشَّمْسِ مِن دُونِ اللَّهِ وَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ فَصَدَّهُمْ عَنِ السَّبِيلِ فَهُمْ لا يَهْتَدُونَ ﴿٢٤﴾ أَلاَّ يَسْجُدُوا لِلَّهِ الَّذِي يُخْرِجُ الْخَبْءَ فِي السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَيَعْلَمُ مَا تُخْفُونَ وَمَا تُعْلِنُونَ ﴿٢٥﴾ اللَّهُ لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ ﴿٢٦﴾ قَالَ سَنَنظُرُ أَصَدَقْتَ أَمْ كُنتَ مِنَ الْكَاذِبِينَ ﴿٢٧﴾ اذْهَب بِّكِتَابِي هَذَا فَأَلْقِهْ إِلَيْهِمْ ثُمَّ تَوَلَّ عَنْهُمْ فَانظُرْ مَاذَا يَرْجِعُونَ ﴿٢٨﴾ قَالَتْ يَا أَيُّهَا الْمَلأُ إِنِّي أُلْقِيَ إِلَيَّ كِتَابٌ كَرِيمٌ ﴿٢٩﴾ إِنَّهُ مِن سُلَيْمَانَ وَإِنَّهُ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ﴿٣٠﴾ أَلاَّ تَعْلُوا عَلَيَّ وَأْتُونِي مُسْلِمِينَ ﴿٣١﴾ قَالَتْ يَا أَيُّهَا الْمَلأُ أَفْتُونِي فِي أَمْرِي مَا كُنتُ قَاطِعَةً أَمْرًا حَتَّى تَشْهَدُونِ ﴿٣٢﴾ قَالُوا نَحْنُ أُوْلُوا قُوَّةٍ وَأُوْلُوا بَأْسٍ شَدِيدٍ وَالأَمْرُ إِلَيْكِ فَانظُرِي مَاذَا تَأْمُرِينَ ﴿٣٣﴾ قَالَتْ إِنَّ الْمُلُوكَ إِذَا دَخَلُوا قَرْيَةً أَفْسَدُوهَا وَجَعَلُوا أَعِزَّةَ أَهْلِهَا أَذِلَّةً وَكَذَلِكَ يَفْعَلُونَ ﴿٣٤﴾ وَإِنِّي مُرْسِلَةٌ إِلَيْهِم بِهَدِيَّةٍ فَنَاظِرَةٌ بِمَ يَرْجِعُ الْمُرْسَلُونَ ﴿٣٥﴾ فَلَمَّا جَاءَ سُلَيْمَانَ قَالَ أَتُمِدُّونَنِ بِمَالٍ فَمَا آتَانِيَ اللَّهُ خَيْرٌ مِّمَّا آتَاكُم بَلْ أَنتُم بِهَدِيَّتِكُمْ تَفْرَحُونَ ﴿٣٦﴾ ارْجِعْ إِلَيْهِمْ فَلَنَأْتِيَنَّهُم بِجُنُودٍ لاَّ قِبَلَ لَهُم بِهَا وَلَنُخْرِجَنَّهُم مِّنْهَا أَذِلَّةً وَهُمْ صَاغِرُونَ ﴿٣٧﴾ قَالَ يَا أَيُّهَا الْمَلأُ أَيُّكُمْ يَأْتِينِي بِعَرْشِهَا قَبْلَ أَن يَأْتُونِي مُسْلِمِينَ ﴿٣٨﴾ قَالَ عِفْرِيتٌ مِّنَ الْجِنِّ أَنَا آتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَن تَقُومَ مِن مَّقَامِكَ وَإِنِّي عَلَيْهِ لَقَوِيٌّ أَمِينٌ ﴿٣٩﴾ قَالَ الَّذِي عِندَهُ عِلْمٌ مِّنَ الْكِتَابِ أَنَا آتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَن يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ فَلَمَّا رَآهُ مُسْتَقِرًّا عِندَهُ قَالَ هَذَا مِن فَضْلِ رَبِّي لِيَبْلُوَنِي أَأَشْكُرُ أَمْ أَكْفُرُ وَمَن شَكَرَ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ رَبِّي غَنِيٌّ كَرِيمٌ ﴿٤٠﴾ قَالَ نَكِّرُوا لَهَا عَرْشَهَا نَنظُرْ أَتَهْتَدِي أَمْ تَكُونُ مِنَ الَّذِينَ لا يَهْتَدُونَ ﴿٤١﴾ فَلَمَّا جَاءَتْ قِيلَ أَهَكَذَا عَرْشُكِ قَالَتْ كَأَنَّهُ هُوَ وَأُوتِينَا الْعِلْمَ مِن قَبْلِهَا وَكُنَّا مُسْلِمِينَ ﴿٤٢﴾ وَصَدَّهَا مَا كَانَت تَّعْبُدُ مِن دُونِ اللَّهِ إِنَّهَا كَانَتْ مِن قَوْمٍ كَافِرِينَ ﴿٤٣﴾ قِيلَ لَهَا ادْخُلِي الصَّرْحَ فَلَمَّا رَأَتْهُ حَسِبَتْهُ لُجَّةً وَكَشَفَتْ عَن سَاقَيْهَا قَالَ إِنَّهُ صَرْحٌ مُّمَرَّدٌ مِّن قَوَارِيرَ قَالَتْ رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي وَأَسْلَمْتُ مَعَ سُلَيْمَانَ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾

(سورة النمل: الآيات ٢٠ : ٤٤)

فلما آمنت بدين سليمان ﷺ تبعها قومها وآمنوا به إلا قليل منهم بعد أن كانوا يعبدون الكواكب مثل الشمس والقمر ثم دخل سليمان سبأ فاستقبلته بلقيس استقبالاً حافلاً وتزوجا وأقامت معه سبع سنين وشهوراً ثم ماتت فدفنها بتدمر واكتشف تابوتها فيما يقال فى عهد الوليد بن عبد الملك مكتوبا عليه ما يدل على أنها ماتت بعد إحدى عشرة سنة من ملك سنوات ولما قيل للوليد إنها ما تزال غضة فى التابوت أمر بأن يبنى عليها وعلى التابوت بالصخر.

وهكذا تنتهى هذه القصة الرائعة لملكة رائعة تمتاز بالجمال والذكاء والمال وقوة الشخصية والنفس الكريمة فماتت مؤمنة بالله تبارك وتعالى وستبقى ذكراها أبد الدهر مثالاً للمرأة فى قوتها وذكائها مإيمانها بعد أن خلدتها الأديان السماوية إلى ما شاء الله.

الخنســـــاء



الخنساء

معناه: مؤنث «أخنس» وهى صفة تعنى تأخر أنف الإنسان عن وجهه قليلا ويطلق على الظبية الجميلة.

قليل جداً من العرب هم الذين كانوا يطلقون على بناتهم «الخنساء» فلم يكن هذا الاسم منتشراً فى ذلك الحين وإنما كان غريبا نادراً.

لكن اسم (الخنساء) الذى أطلق على بطلتنا واشتهرت به قد انتشر وملأ الآفاق فهى المجاهدة والمؤمنة وهى الشاعرة المجيدة.

نشأت (الخنساء) فى بيت عز وكرم وتربت فى أحضان والدين كريمين عطوفين وبين أخوين شجاعين فشبت عزيزة النفس، موفورة الكرامة.

عرفت بالكرم والشهامة وجمعت إلى ذلك نبوغها فى الشعر والأدب حتى صارت الفارسة المعلمة فيهما على امتداد العصر الجاهلى وعصر الإسلام.

والدها

كان والدها من ذوى الثراء والجاه ومن ذوى المكانة بين قومه وبين قبائل مصر كلها.

ويقال أنه كان يأخذ بيدى إبنيه معاوية وصخر أخوى الخنساء ويصحبهما فى المواسم.

وقد عرف عن الخنساء منذ نشأتها تعلقها بأسرتها وإشفاقها الدائم على أبيها وأخويها من عواقب الحياة القبلية وما تتسم به من غزو وحرب وقتال وكان قلبها يتعلق بكل من يخرج منهم للغزو أو القتال أو الرعى. وفى إحدى المرات التى عاد فيها أخواها من الغزو سالمين دخلت خيمة أبيها باسمة سعيدة ورأت والدها يتحدث إلى أخويها فى حب ومودة.

وقالت لهم:

إن القبيلة تفرح دائما بعودة أبنائها إلى أحضانها سالمين غانمين وقد عاد الجميع فى سلام وأمان وقد رأى شباب القبيلة غداً عيداً كبيراً فى الساحة الكبيرة أمام مضارب الخيام وتجرى فيه سباقات بين الحاضرين بمناسبة العودة الحميدة السارة.

وأبدى معاوية وصخر كل استعداده للمشاركة فى هذه السباقات بالمبارزة بالسيوف أو برمى السهام أو بركوب الخيل وما شابه ذلك من ألوان السباق.

وهنا قال الأب وهو يبتسم: لماذا لا أشترك فى هذه السباقات؟ إننى مازلت قويا وغير عاجز عن الاشتراك فيها..

ونظر الأبناء بعضهم إلى بعض فى دهشة؟!

لقد حملوا كلام أبيهم على أنه نوع من المزح والتبسط معهم فى الحديث ولكنهم لمحوا لهجة الجد فى حديثه فرحبوا بمشاركته وتركوا له مهمة اختياره المسابقة التى يريدها.

وأيقن الأبناء أن مشاركة الوالد ستضفى جواً من البهجة والسعادة فى حلبة السباق.

وبدأ السباق وشهدت جموع القبيلة منظراً رائعا فى مضمار السباق. إن شيخ القبيلة وحكيمها (عمر بن الشريد) ينافس أحد ولديه فى العدو.

وما أن بدأ السباق حتى ارتفعت الهتافات من كل جانب تحيى وتشجع وتتوقع الغلبة للأب تارة وللإبن تارة أخرى وتظل الهتافات وترتفع حتى إذا قربا من نقطة الانتهاء هدأت الأصوات وتعلقت الأنظار ببطلى السباق وترقب الجميع النتيجة فى هدوء تام.

ثم ارتفعت الهتافات مرة أخرى حين انتهى السباق.

لقد حضرت الخنساء السباق واحتوت كل لمحة من لمحاته واستطاعت

فى براعة أن تصور مشاعرها ومشاعر الناس فى متابعة هذا السباق المثير.

تقول (الخنساء) مصورة لقطة من لقطات السباق

وعـــلا هتـــاف النـاس أيهـــمـــا ؟
قــــال المجـــيب هنـاك: لا أدرى؟

بـرزت صـــحـــيـــفـــة وجـــه والـده
ومـــضـى عـلـى غـلـوائـه يـجـــرى

أولـى فـــأولـى أن يـســـاويـه
لـولا جـــلال الـسـن والـكـبـــر

ثم تصور النتيجة السعيدة لهذا السباق الجميل بأنهما قد وصلا فى وقت واحد عند نهاية السباق تقول:

وهـمـــا وقـــد بـرزا كـــأنهـــمـــا
صـــقـــران قـــد حـطا عـلـى وكـــر

وحينما عادت الأسرة إلى خيامها سعيدة بهذا الوقت الذى قضوه فى مضمار السباق.

وهنا قال معاوية للخنساء فى تؤدة وتمهل

لقد ذاع صيتك يا اختاه بين القبائل بسبب قوة شعرك وكرم خلقك وكمال مروءتك وأصبح الخطاب يدقون علينا الباب يطلبون يدك.

وقد تقدم لخطبتك شاعر مشهور معروف فى القبائل ويتناشد الناس اشعاره فى كل مكان فإذا ارضيت به زوجاً زادك شهرة وذيوع صيت.

قالت الخنساء ومن يكون هذا يا ترى؟

قال أخوها: إنه دريد بن الصمة سيد هوازن وفارسها وحكيم العرب.

فأطرقت ثم قالت حقا إننى أعرف قدر دريد بن الصمة ومكانته وأعرف له منزلته فى الشعر فهو كما قلت شاعر فذ معروف وفارس شجاع وحكيم من حكماء العرب لا جدال فى ذلك ولكنى أوثر أن يكون بيتى بين أهلى وعشيرتى ولا أريد أن أبرح الساحة التى نشأت فيها أبداً.

وقد تألم دريد بن الصمة لهذا الرفض وأخذ يهجوها.. وعندما قال الناس لها أنت شاعرة فلماذا لا تردين على هجائه.

فقالت أنا لا أريد أن يتألم من رفضى له وهجائى.

ومضت أيام وشهور وتزوجت الخنساء من أحد أبناء عمومتها لكنها انفصلت عنه بعد فترة فقد اكتشفت بعد فترة أنه يقضى وقته فى لعب الميسر.

ومن بعده تزوجت رجلاً آخر من قبيلتها اسمه مرداس بن أبى عامر السلمى) وكان سيدا فى قومه بالكرم وكثرة العطاء وكانوا يلقبونه (بالفيض) وقد أنجبت الخنساء منه أربعة أبناء ثم توفى وتركهم أطفالاً صغاراً فعكفت على تربيتهم وتنشئتهم على أحسن وجه كى يشبوا شجعاناً كرماء كما حرصت على إتاحة الفرصة أمامهم لكى ينهلوا من منابع الأدب والشعر لعلهم يصبحون مثلها أدباء وشعراء.

وقد وقف أخواها (معاوية وصخر) بجانبها بعد وفاة زوجها فلم يتركاها تقاسى مذلة الحاجة وحرص صخر بصفة خاصة على أن يرعاها ويحمل عنها عبء تربية أولادها اليتامى.

استمرت الخنساء فى قول الشعر وكانت تستمد وحيه من الطبيعة حولها فتسعد نفسها وتسعد من حولها حتى حدث التغير الذى غير فى مجرى الشعور المتدفق بالحيوية والبشر..

فماذا حدث يا ترى حتى تبدلت حالتها وتغير مسارها وصبغ حياتها

بالحزن والسواد.

إنه حادث أصاب أخاها معاوية فى مقتل.

لم يكن نور الإسلام قد أشرق بعد على الجزيرة العربية والعالم من حولها فقد كانت القبائل العربية تعيش عيشة الجاهلية التى تقوم فى مجملها على الظلم والقهر وغلبة القوة والأخذ بالثأر وتتخذ الإغارة والسلب والنهب وسيلة للعيش والحياة وسط تلك الصحراوات القاتلة.

كانت هذه القبائل تعيش فى قلق دائم لا تعرف الهدوء أو الراحة وكانت تخشى دائما ما يخبئه لها الغد من تقلبات من هنا كانت المخاوف من الغد ومفاجآته تحاصر قلب الخنساء ولا تترك لها فرصة كافية للاستمتاع.

وما أشد قلقها وفزعها حين يخرج أبوها أو أحد أخويها أو أحد أبنائها فيما يخرج له أبناء القبيلة من الغزو أو الحرب أو الصيد والقنص أو الرعى، إنه شعور يلازمها من ساعة الخروج حتى ساعة العودة لا يهدأ لها قلب ولا يكاد يغمض لها جفن.

ولكن الحياة لا تتوقف عن طلب العيش ومن ثم فقد خرج معاوية فى زمرة من رفاقه للغزو والإغارة رداً على غزو قبيلة (غطفان) وإغارتها على قبيلة بنى سليم.

وخرجت الخنساء تودع أخاها معاوية كما تفعل كلما خرج وأخذت توصيه بالحذر واليقظة والتنبه لغدر العدو وحيله الماكرة وسارت معه خطوات حتى جاوز خيام القبيلة ثم تركته داعية له بالسلامة.

ولم تعرف (الخنساء) الهدوء منذ ودعت أخاها معاوية وظلت تتحسس أخباره يوماً بيوم ثم شغل بالها طول غيابه وانقطاع اخباره.

ترى.. ماذا يحمل القدر لهذا القلب الشاعر الرقيق؟ ثم تكون المفاجأة..

فقد قتل معاوية فى أرض قبيلة (غطفان) قتل غدراً وخداعاً وحين قتل

صاح القاتل مزهواً: لقد قتلت معاوية بن عمرو.

وطارت صيحة القاتل إلى القلب الرقيق الحانى قلب أخته الخنساء فصعقت وذهلت.. ثم اغلقت على نفسها وأنشب الحزن أظافره فى قلبها فلم تجد هذه الشاعرة ملاذاً تلوذ به إلا الشعر تعبر به عن حزنها وآلامها.

لقد أخذت تطلق الشعر الحزين وأخذ الناس يتناقلون شعرها ويرددونه معها إنهم يستجيبون معها فى كل مكان من الجزيرة العربية.

وهذا صخر الفارس الشجاع والبطل الجسور يثور لمقتل أخيه (معاوية) خديعة وغدرا فيصمم على الانتقام له. ومضى صخر إلى قبيلة (غطفان) ظاهراً غير متخف وقد استطاع أن يعرف قاتل أخيه ولكنه أمسك سيفه عنه لأنه وجد أن قاتله إذا سل سيفه عليه وسط جموع قبيلته فآثر العودة سالما.

وقد عجبت الخنساء لعودته دون أن يأخذ بثأره ثم علمت أنه قد أرجأ ذلك إلى وقت قريب وأنه مصمم على تنفيذ وعيده بالانتقام والأخذ بثار أخيه فى الوقت المناسب.

ثم جمع جمعاً آخر وأغار على قبيلة (بنى اسد بن خزيمة) فأحاطوا بهم إلى قبيلة غطفان وهجم عليهم وقتل منهم الكثير وأخذ بثأره من قاتل أخيه معاوية.

وهنا تمكن أعداءه منه فأصابوه إصابة خطيرة ولكنهم لم يتمكنوا من الإجهاز عليه حمل صخر بين الحياة والموت إلى بيته فاستقبله كل أهله واستقبلته أخته الخنساء بكل العطف والحب والحنان..

وعكفت الخنساء على رعايته وتمريضه حتى وافاه الأجل بين يديها.

هكذا مات صخر الأخ العزيز للخنساء والذى كان يحبها وتحبه إلى أقصى درجات الحب لذا فقد حزنت لموته حزناً شديداً فمزقت خمارها وحلقت شعرها ولبست صداراً من الشعر لتحرم جسمها طعم الراحة والمتعة طول حياتها.

لقد مات صخر الركن الركين لقومه وفخر الأسرة والقبيلة الكريم المضياف ـ الشجاع المقدام.

ضاعف هذا الحدث أحزان الخنساء فانطلق شعرها الباكر الحزين على صخر شعر نابع من قلب هده الحزن والألم على أخ قد مات لها قبل ذلك بقليل.

لقد قالت الكثير عن معاوية وقالت الكثير عن صخر لكن شعرها عن صخر كان أكثر وأجود فقد كان شديد العطف عليها وكان يرعاها ويرعى أولادها أحسن رعاية حتى أنه ذات يوم قسم ماله قسمين وأعطاها أفضل النصفين..

تقول الخنساء:

اريقى من دموعك واستفيقى
وصبراً إن أطقت ولن تطيقى

وقولى إن خير بنى سليم
وفارسها بصحراء العقيق

الا هل ترجعن لنا الليالى
وأيام لنا بلوى الشقيق

أما الأبيات التى رثت بها أخاها صخرا وهى لا شك أقوى عاطفة وأعمق معنى فهى تقول:

او يا صخر إن أبكيت عينى
لقد اضحكتنى زمناً طويلاً

إذا قبح البكاء على قتيل
رأيت بكاءك الحسن الجميلا

وتقول فى قصيدة أخرى

يذكرنى طلوع الشمس صخراً
وأذكره لكل غروب شمس
ولولا كثرة الباكين حولى
على اخوانهم لقتلت نفسى

لقاء فى سوق عكاظ

وتمر الأيام: والحزن لا يزال يسيطر على قلب الخنساء ولبس السواد ولا يكاد يفارقها حتى عجز أحباؤها وأعزاؤها عن مواساتها وحملها على ترك لبس السواد الذى ألفته منذ وفاة أخيها معاوية ثم صخر.

ثم حاولوا معها محاولة جديدة وهم على أمل أن تستجيب لهم فقد كانوا يعرفون عشقها للشعر وتعلقها به وأنه نبض حياتها فلماذا لا يدخلون إليها من هذا الباب؟

ومن ثم أشاروا عليها بالتوجه إلى مكة وشهود سوق عكاظ الذى يعرض فيه الشعراء والخطباء والأدباء أبدع أعمالهم وهناك تعرض شعرها على جموع الشعراء وعلى كبار الشعراء المحكمين فى هذه السوق.

إنها تلك السوق الكبيرة التى تقصد إليها العرب كل عام من كل مكان وتقام هذه السوق مع بداية شهر (ذى القعدة) فيجتمع فيها الناس ويبيعون ويشترون ويتفاخرون بالأسباب والأمجاد ويتناشدون الأشعار ثم يحجون إلى البيت الحرام. طبقا لمناسك الجاهلية آنذاك.

واستجابت الخنساء وشدت رحالها إلى سوق عكاظ وقد أقيمت السوق كما درج عليه العرف كل عام حيث أقيم للشاعر المشهور (النابغة الذبيان) قبة حمراء من الجلد ظاهرة للعيان يقصدها الشعراء فيلقون بأشعارهم أمام (النابغة ووسط حشود من الشعراء والمستمعين وينتظرون حكمه بعد سماع هذه الأشعار.

وكان أول من أنشده فى هذا الموسم الشاعر المشهور (ميمون بن قيس) الذى يطلق عليه (الأعشى).

وبعده أنشد (حسان بن ثابت).. شاعر الرسول ﷺ قصيدة من أروع قصائده وأجملها.

ثم تقدمت (الخنساء) وأنشدت قصيدتها التى قالتها فى رثاء أخيها (صخر) ومنها هذا البيت الذى سبقت الإشارة إليه

وإن صـــخـــرا لـتـــأتم الهـــداةُ بـه
كـــأنـه عـلـم فـى رأســـه نـار

فقال لها النابغة والله لولا أن سبقك الأعشى (إنك أشعر الجن والأنس)

وغضب حسان بن ثابت وحسب أن هذا الحكم ينال من قدره كشاعر ودار جدل حول شعريهما ثم حسم النابغة الموقف حيث للخنساء انشديه يا خنساء.

فلما أنشدته قال لها:

(والله ما رأيت أنثى أشعر منك)

فقالت له الخنساء فى اعتزاز وثقة والله ما رأيت رجلا أشعر منى.

ويقول حسان بن ثابت عن لقائه بالنابغة والخنساء. جئت نابغة بنى ذبيان فوجدت الخنساء بنت عمرو فأنشدته أولاً ثم قامت الخنساء فأنشدته فقال فقال (إنك لشاعر، وإن أخت بنى سليم لبكاءه)

يعنى أنها قعدت شعرها على الرثاء وأنها السباقة فى هذا الباب.

وانتشر تحكيم (النابغة) بين الناس وزاد ذلك من شهرة الخنساء فقد كان لسوق عكاظ وما يلقى فيه من خطب وأشعار شهرة واسعة كما كان لأحكامه التى يصدرها أثرها الكبير فى تقدير الشعراء والخطباء إلى أقصى حد.

ومما يدل على ذلك ما ترويه كتب السيرة النبوية وكتب الأدب من أن رسول الله ﷺ قد شهد (سوق عكاظ) واستمع فيه إلى حكيم العرب (قس بن ساعدة الأيادى) وهو يخطب الناس فى السوق قائلا:

أيها الناس اسمعوا وعوا من عاش مات ومن مات فات وكل ما هو آت..
آت..

ولم تلبث الشاعرة المجيدة أن انصرفت من السوق وهى تحمل فى نفسها ذكرى هذه اللقاءات الجميلة بين الشعراء والخطباء.

ولكن هل غير ذلك شيئا فى نفس الخنساء؟

إنه لم يغير شيئا وظلت على حالها تلك لم يتزحزح الحزن من قلبها ولم تتخل قط عن لبس صدارها القاتم الذى يعبر عن شهرة حزنها.

فى حضرة الرسول الكريم

سطع نور الإسلام الباهر فبدد ظلام الجاهلية الحالك انتصر الحق واندحر الباطل وعلت كلمة الإسلام فى الجزيرة العربية.

ثم استقرت الأمور لرسول الله ﷺ وأخذت المدينة تنعم بالسلام بعد سنوات طويلة من الجهاد والكفاح حتى أكرم الله نبيه بالنصر الباهر بعد فتح مكة وهزيمة المشركين بعد ذلك فى كل المواقع.

ورأت القبائل التى هداها الله للإسلام أن تبعث بوفودها إلى المدينة وتلتقى برسول الله ﷺ وتعلن بين يديه ولاءها للإسلام واستعدادها للبذل والتضحية فى سبيل الله.

ومن بين هذه الوفود وفد (بنى سليم) يغادر خيمته التى نصبت له خارج المدينة فى وقت مبكر ويأخذ طريقه إلى مسجد رسول الله ﷺ.

ويشهد أهل المدينة وزوارها وفدًا يسير فى هدوء وتؤدة فى طرقات المدينة ويلفت نظرهم أن هناك سيدة تتقدم هذا الوفد إنها سيدة يغلب على ملابسها السواد تسير فى وقار وقد بدا عليها الضعف والوهن وتستند إلى ذراع من يساندها من مرافقاتها.

إنها الخنساء وهى سيدة معروفة لا يكاد يجهلها أحد فشهرتها عمت الآفاق وشعرها فى أخويها يحفظه الخاصة والعامة.

وبلغت أصوات الناس سمع الخنساء فأحست بتعاطف شديد نحوهم ومحبة لهم فهؤلاء الناس الذين يتعاطفون معها ليس بينهم وبينها إلا التعاطف الإنسانى.

ومن فرط حب الناس للشاعرة تركوا أماكنهم وتبعوا وفد بنى سليم وانضموا إليه.

وذلك تحية للشاعرة وقومها الأوفياء.

إن رسول الله ﷺ يعرفها من شعرها ومن مأساتها فى أخويها.

وتدخل الخنساء على رسول الله وتقترب من مجلسه ﷺ إنها تراه بقلبها قبل أن تراه بعينيها التى ضعفت من كثرة البكاء. وأن نوره يغمر قلبها بالراحة والهدوء والسكينة.

رحب بها الرسول كما رحب بقومها ترحيبا حاراً.

ولما استقر بها المقام أبدى لها الرسول إعجابه بشعرها وتقديره لها.

أخذت النساء تنشد بعض شعرها ثم تسكت قليلا لترى وقع شعرها على رسول الله فكان يبدى إعجابه ويدعوها إلى المزيد ويشير مستحسناً ويقول لها: (هيه يا خنساء) ودعا لها ولقومها بالخير.

وشعرت الخنساء أنها حازت كل كنوز الدنيا بهذا الدعاء النبوى الطاهر لقد خرجت الخنساء من لدن رسول الله وقد ازداد إيمانها وتضاعف حبها لله ولرسوله إلا أن الجرح الغائر فى قلبها لفقد أخويها لازال ينزف وحين سألها عمر بن الخطاب رضي الله عنه حين مرت بالمدينة المنورة فى طريقها إلى الحج

ما أَقْرَحَ مآقى عينيك يا خنساء؟

وإن الذى تصنعين ليس من الاسلام وأن الذى تبكين عليهم قد هلكوا فى الجاهلية؟

أجابت كما لو كانت تعتذر عن سلوكها

ذلك أدعى لحزنى وطول بكائى عليهم

تعنى أن مقتل أخويها قبل الاسلام يضاعف من احساسها باللوعة والآسى لفقدهما

وقد حاول الكثيرون أن يحملوها على تغيير السواد الذى تتشح به ولكن دون جدوى فلقد تمكن الحزن منها ومن الصعب إجبارها على غير ماتريده.

لقاء فى القادسية

حينما تعلقت الخنساء بحب رسول الله كانت أكثر حرصًا على نصرة الدين ورفع رايته فى كل مكان بكل ما تستطيع من جهد ونظرت إلى أولادها الأربعة الذين ربتهم على العزة والكرامة.

نظرت إلى وجوههم واستمعت إلى حديثهم فرأت فيهم ما أملت لديهم فقد شبوا فتيانًا شجعانا أقوياء وجمعوا بين الشجاعة والاقدام وبين حبهم للأدب والشعر فكانوا خير مثال لهذا الشباب الناشىء فى ظل الاسلام وفى ظل بيئة نقية طاهرة تقدس الكلمة كما تقدس الفعل والعمل الطيب النبيل لقد نشئوا وهم على استعداداتا تاماً للبذل والعطاء.

واندمجت الخنساء مع الأحداث وها هى ذى تتابع بعد وفاة الرسول ﷺ مواقف خليفته الأول (أبى بكر الصديق) رضي الله عنه هذه المواقف الرائعة التى تنبئ عن شجاعة فائقة لاحدود لها وخاصة موقفه الشجاع فى حرب المرتدين ونشر الدين الحنيف ورفع لوائه فى العالم حيث تندفع جيوشه فى محاربة الروم والفرس وتحقق كل يوم انتصارًا رائعا تسعد به قلوب المؤمنين المخلصين.

ثم يأتى عهد الخليفة الثانى (عمر بن الخطاب) بعد وفاة (أبى بكر) رضى الله عنهما

وهاهى ذى معركة المسلمين مع الفرس لاتزال مشتعله لقد بات فى عهد الخليفة (أبى بكر) ثم تولاها من بعده (خالد بن الوليد) فأذاق الفرس مرارة الهزيمة فى مواقع عدة لم يهزم فى واحدة منها.

ولم يلبث الخليفة أن يأمر (خالدا) بترك القيادة للمثنى وأن يسرع إلى الشام ليسند جيش المسلمين هناك ويمضى خالد إلى الشام تبعا لأمر الخليفة لكى يحقق نصراً خارقاً فى معركة (اليرموك) الشهيرة.

وهنا كانت معركة المسلمين مع الفرس قد دخلت مرحلة خطيرة وقد

وضع الناس أيديهم على قلوبهم إشفاقا وقلقا لقد تعرض الفرس لهزائم متلاحقة على يد المسلمين.

ورأى الأكاسرة ملوك فارس أن سلطانهم مهدد بالانهيار على يد جيش المسلمين ولذلك فإنهم هبوا لحشد جيوشهم وتجميعها فى كل مكان وهى جيوش كبيرة ومدربة وذات أسلحة قوية.

وهتفت الخنساء وهى تتابع ذلك الموقف الصعب (لك الله يا ابن الخطاب)

ترى.. ماذا يفعل (الفاروق عمر) فى هذا الموقف الصعب كان عمر - رضي الله عنه - يدرك خطر الموقف ويعلم أنه لابد من اتخاذ عمل يتناسب مع هذا (الخطر المحدق بالمسلمين فى العراق)

لم يجد (عمر) بدا من الدعوة للجهاد فى كل أنحاء البلاد الاسلامية وكتب إلى ولاته أن يبذلوا للقتال كل قادر على الحرب.

وسمعت الخنساء من يؤذن فى الناس للخروج لجهاد الفرس وهنا أسرعت فى استدعاء أبنائها لقد حانت لحظة الجهاد والقتال فى سبيل الله وهاهم أبناؤها قد توافدوا على استعداد للسفر إلى العراق دفاعًا عن الدين ثم راحوا يستعدون للسفر مع جموع المحاربين فى الجهاد وتشاور الخليفة مع أصحابه طويلا حتى اهتدى إلى قائد ارتاحت له نفسه إنه الصحابى الجليل سعد ابن وقاص أول من رمى بسهم فى سبيل الله وأحد العشرة المبشرين بالجنة وصاحب الدعوة المستجابة وخال رسول الله ﷺ وبطل يوم أحد

واستبشرت الخنساء خيرا بأن يتولى سعد القيادة وقالت لأبنائها (هذا هو قائد معركتكم مع الفرس وفى المدينة جلس (عمر بن الخطاب) مع قائده سعد وأخذ يزوده بنصائحه وتوجيهاته ويرشده إلى اتباع الوسائل الكفيلة بنصر جيوش المسلمين.

وسار سعد يقود هذه الجموع الحاشدة إلى العراق وفى الطريق كان

ينضم إليه العدد الوفير من رجلالات القبائل المنتشرين وسط الصحراء.

جمعت الخنساء أولادها وشدت رحالها إلى القادسية وبرغم وهن جسمها وضعف بصرها كانت تشعر بقوة خارقة وهى تخترق الصحراء وكأنما عاد إليها الشباب وفى القادسية انضمت قافلة الخنساء إلى الجموع الكثيفة التى جاءت لمحاربة الظلم والطغيان وامتلأ سمعها بصيحات الجنود وقعقعة السلاح وتكبيرات المصلين وتلاوة القرآن الكريم وصهيل الخيل ورغاء الإبل فلم تملك نفسها أن تصيح بصوت مرتفع فى المكان كله إنها قوة الله تسيطر على هذه الجموع المؤمنة وإن جندنا لمنتصرون بإذن الله تعالى.

وبدا واضحا أن المعركة وشيكة حيث تراءى الجمعان وأصبح لا مفر من الالتقاء والالتحام.

وحل الليل...

وحلت ليلة المعركة الكبرى

وفى ضوء سراج خافت وفى جانب من خيمة على طرف المعسكر جلست الخنساء مع أبنائها تحثهم على القتال حديث الروح والايمان وأخبرتهم أن المعركة باتت وشيكة.

لم تكن الخنساء ترى أبناءها بوضوح لضعف بصرها ولكنها كانت تحس نبضهم وتدرك صدق مشاعرهم واستعداداهم للقتال والجهاد فى سبيل الله.

ترى ماذا قالت الخنساء لأبنائها؟ لقد قالت لهم:

يابنى لقد أسلمتم طائعين وهاجرتم مختارين وأنتم لاشك تعلمون ما أعد الله للمسلمين من الثواب الجزيل فى حرب الكافرين واعلموا أن الدار الباقية خير من الدار الفانية وما أن انتهت من حديثها ثم استمعت إلى حديثهم حتى أحست منهم العزم والتصميم فاطمأنت نفسها وارتاح بالها وأيقنت أنهم سيرعون وصيتها وينفذونها على خير وجه

أين هذا من موقفها من أخويها (معاويه وصخر) حين كانا يخرجان للغزو والقتال كان هناك الفزع واللهفة وهنا نجد الطمأنينة والسكينة والرضا بقضاء الله وقدره إنه الإيمان ولا شئ غيره.

الفهرس

١ ـ مارى آن انجليدس ٣

٢ ـ بدر الدجى ١٠

٣ ـ زينب ١٨

٤ ـ فاطمة الفيومية ٢٤

٥ ـ هدى شعراوى ٣٢

٦ ـ شجرة الدر ٣٨

٧ ـ نور التترية ٤٤

٨ ـ كوثر ٥٣

٩ ـ بلقيس ملكة سبأ ٦١

١٠ ـ الخنساء ٦٨

الفهرس ٨٧